مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

١ نيسان « أبريل » سنة ١٩٦١ م　　　　١٥ من شوال سنة ١٣٨٠ هـ

تأثير العرب والعربية في الفلاحة الأوربية (١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يعالج مؤرخو الحضارة الغربيون ما كان للعرب ، في القرون الوسطى ، من تأثير في فلاحة الأقوام الأوربية ، بقدر معالجتهم لما كان لهم من تأثير في بث الفلسفة وعلوم الطب والرياضة والفلك والفيزياء والجغرافيا وغيرها في الأقوام المذكورة . ولعل سبب ذلك الإهمال ما هو معروف من أن الفلاحة لدى جميع القدماء من كلدانيين ومصريين ويونانيين ورومانيين وعرب قد قامت كلها على الملاحظات والتجارب فحسب ، وأن تقدم الفلاحة بالعلوم لم يحصل إلا بعد النهضة الأوربية ، أي بعد كشف النقاب عن المعلومات الكيمياوية والبيولوجية الحديثة التي كان يجهلها القدماء ، فهؤلاء كانوا يجهلون الفسيولوجية النباتية من

(١) بحث ألقي في مؤتمر مجمع اللغة العربية المنعقد في القاهرة في ١٦ من كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٦١ .

من الوجهة الكيمياوية ، ويجهلون أصول الكيمياء الزراعية وكيفية اغتذاء النبات بالعناصر الغذائية ، ولا سيما بالأملاح المعدنية ، ويجهلون أيضاً علل حصول الاختمار ، وتركيب الأتربة والأسمدة والغلات والأثمار ، وحياة الحشرات والجراثيم والفطور المجهرية التي تولد أمراض الزروع الخ . ولكن كون الفلاحة القديمة لم تكن ترتكز على دقائق العلوم الحديثة لا يحول دون البحث عما كان لأجدادنا من فضل على تقدم فن الفلاحة في أيامهم السالفة . وسنحاول بيان ذلك في هذا البحث الموجز :

إذا ألقينا نظرة على جغرافية الأقطار العربية ، سواء في آسية أو في إفريقية ، نجد أنها خاضعة لإقليميتين مختلفتين : الأولى في جنوبي جزيرة العرب (اليمن ، حضرموت ، عمان) وفي السودان حيث تجلب الريح الموسمية المندية في الصيف أمطاراً غزيرة تعين على زراعة عدد من النباتات المدارية كالبن والأنبج (منجة) والنخل والقات والموز والنارجيل والقشدة والببّايا وغيرها كثير ، والثانية إقليمية البحر الأبيض المتوسط التي تسود سائر الأقطار العربية ، وهي تعرف بشتاء بارد مطير ، وبصيف حار لا مطر فيه . وكلما بعدت الأرض عن ذلك البحر قلت أمطارها ، حتى إن بعض القفار في جزيرة العرب وفي الصحراء الكبرى الإفريقيه لا تمطر سماؤها مطلقاً .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا النظام الإقليمي الطريف يقسم مناطق البلاد العربية قسمين : الأول وهو المهم يتراوح ارتفاع أمطاره السنوية بين ٢٥٠ و ١٠٠٠ ميليمتر فتكون تلك الأمطار كافية للزراعة إما عذياً على المطر ، وإما سقياً بالأنهار والينابيع والقنوات التي تتكون من مياه الأمطار .

أما القسم الثاني فأمطاره السنوية يتراوح ارتفاعها بين ٥٠ و ١٥٠ ميليمتراً . وهذا المقدار لا يكفي للزراعة اقتصادياً ، ولكنه يُنبت نباتات بريه شتى تتألف منها مراعي بقاع واسعة في جزيرة العرب وبادية الشام والعراق والأقطار العربية الإفريقية .

وليس من المعقول ترك نباتات هذه المراعي تنبت وتنمو، ثم تصوّح وتذروها الرياح، من دون الاستفادة منها. ولذلك كانت الأمة العربية وما زالت مؤلفة من فريقين اجتماعيين: فريق الرعاة أي القبائل البدوية المتنقلة التي تعيش على تربية الخيل والأنعام في المراعي والمنتجعات، وفريق الحضر أي سكان القرى والأرياف العاملين في الفلاحة، وسكان البلدان والمدن العاملين في الصناعة والتجارة ووسائل الحضارة.

ويتبين من ذلك أن البداوة التي يعيرنا بها بعض جهلاء الغربيين أو متعصبيهم هي ضرورة فرضتها علينا طبيعة الإقليم الجغرافي، ومع هذا ليس التنقل انتجاعاً للكلأ وقفاً علينا، بل له أمثال في أصقاع كثيرة من الأرض، حتى لدى أرقى الشعوب الأوربية والأمريكية.

والقبائل البدوية لا تستعصي على التحضر، فحيثما تستطيع الإفادة من مياه الأمطار أو من المياه الجوفية سرعان ما تنتقل من عيشة البداوة الى عيشة الحضارة المستقرة، من دون أن تنسى أنسابها القبلية. وفي تاريخ اليمن أسطع دليل على ذلك. فمدنية القبائل اليمنية في التاريخ القديم قد قامت خاصةً على إنشاء السدود العظام، وإسقاء الأرض وزراعتها زراعة كثيفة.

وعندما ظهر الإسلام، وامتدت فتوحاته، اقتصرت القبائل العربية، بادئ ذي بدء على الجهاد، ولكنها ما عتمت أن امتزجت هي والآراميون في الشام والعراق، وهي والأقباط في مصر، وهي والبربر في الأقطار المغربية (وجميعهم من سلالة واحدة وهي السلالة السامية أي العربية القديمة)، وجعل الجميع يستغلون شواسع الأرضين في الأقطار العربية الحاضرة، وفي الأندلس الإسلامية الماضية. وكان من الطبيعي أن تتتبّع الشعوب العربية والمتعربة في الإسلام الأعمال والتقاليد الزراعية التي كان يتتبعها الأقباط في مصر، والآراميون والكلدانيون

من قبلُ في الشام والعراق ، وهي أعمال وتقاليد قديمة يتوارثها الفلاحون جيلاً بعد جيل . وقد بُنيت ، كما قلت ، على التجارب والمشاهدات طيلة قرون عديدة ، فكان عرب القرون الوسطى مثلاً يعرفون بالتجارب قواعد العلم الذي نسميه اليوم زراعة الأراضي اليابسة ، أي زراعة الأعذاء والبُخوس على أمطار يتراوح ارتفاعها سنوياً بين ٢٥٠ و ٥٠٠ مليمتر . ولكنهم ما كانوا يستطيعون تعليل تلك القواعد علمياً . وكانوا يعرفون أيضاً بالمشاهدة فوائد الدورة الزراعية وضرورة تعاقب الزروع في الأرض ، ويعرفون أن القطاني (كالفول والبيقية والجلبان والعدس) تزيد خصب التربة ، وأن الحبوب والقنب والكتان والقطن وغيرها تنهكها ، ولكنهم جهلوا تعليل ذلك .

وكانوا يعرفون ويزرعون معظم النباتات الزراعية التي نزرعها في زمننا هذا . ولم يجهلوا إلا النباتات التي نُقلت الينا بعد كشف النقاب عن أمريكة كالتبغ والذرة الصفراء (الذرة الشامية) والبطاطس والبنادوري (قوطة) والقشدة والفوافة ، أو التي نُقلت حديثاً من أوقيانوسيا والشرق الأقصى كالمندرين وليمون الجنة (غريب فروت) والكاكي وزعرور اليابان (بشملة ، ايكي دنيا) وغيرها .

والعرب هم الذين نقلوا الأترج والنارنج والليمون من الهند الى بلاد العرب ، قال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ج ٢ ص ٤٣٨) : « ... وكذلك شجر النارنج والأترج المدور جُلب من أرض الهند بعد الثلاثمائة ، فزرع بعُمان ، ثم نُقل الى البصرة والعراق والشام ، حتى كثُر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغر الشامي وأنطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر ، وما كان يُعهد ، ولا يُعرف الخ . »

وقال أيضاً (ج ٨ ص ٣٣٦) : « وكان للقاهرة في بعض الصحون بستان نحو من جريب قد غُرس فيه النارنج وحُمل اليه من البصرة وعُمان ، مما حمل من أرض الهند » .

وذكر بعض العلماء الغربيين ، وأخص منهم النباتي السويسري المشهور دوكندول De Candolle ، صاحب كتاب مهد النباتات الزراعية ، أن العرب نقلت الى سواحل البحر المتوسط زراعة القطن والمُضّان أي قصب السكر والمشمش والخوخ (الدُّرّاقن) والرز والخروب والبطيخ الأخضر أو الهندي (البطيخ في مصر) والباذنجان وغيرها . ومعنى ذلك أن الأوربيين اقتبسوا زراعتها منهم ، إما في صقلية ، أو في الأندلس ، أو في عودتهم الى بلادهم زمن الحروب الصليبية .

ومن الأدلة على تأثير العرب في نشر النباتات الزراعية أن اللغة الفرنسية قد اقتبست من لغتنا أسماء عدد غير قليل من النباتات المذكورة . وهاكم بعضها مرتباً على حروف المعجم :

Arganier , Artichaut , Aubergine , Azerolier , Caféier , Caroubier , Carthame , Carvi , Colocase , Cotonnier , Estragon , Henné , Jasmin , Ketmie , Lablab , Limonier , Nénuphar, Oranger, Pastèque , Pistachier , Safran , Sumac , Tamarinier .

Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه الأسماء الفرنسية مقتبسة من الأسماء العربية الآتية على التتابع : أرغان ، حرشف ، باذنجان ، زعرور ، قهوة (البُنّ) ، خروب ، قرطم ، كرويا ، قلقاس ، قطن ، طرخون ، حناء ، ياسمين ، خطمي ، لبلاب ، ليمون ، نيلوفر ، نارنج (بَدّل الفرنسيون مدلول النارنج وأطلقوا الاسم المفرنس على شجر البرتقال) ، بطيخ ، فستق ، زعفران ، سماق ، تمرهندي (لَحَق معجم لتره Littré الفرنسي ، ومعجم أصول الألفاظ الفرنسية لمؤلفه أسكار بلوخ Oscar Block) .

وألف قدماء العرب أو ترجموا كتباً قليلة في الفلاحة[1] . وكانوا يسمونها كتب الفلاحة لا كتب الزراعة . والفَلْح ، على ما هو معروف في المعجمات ،

(١) نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الرابع من المجلد ٣٥) بحثاً بعنوان : « كتب الفلاحة العربية وألفاظها المولدة » .

الشّقّ والقطع ، وهو مصدر فلحتُ الأرضَ إذا شققتها للزراعة . والفلاح الأكّار ، وحرفته الفلاحة . وتسمى أيضاً الحراثة . ولكنهم ، في الاصطلاح المشهور ، لم يقصروا معنى الفلاحة على شق الأرض بالمحراث وغيره ، بل تجاوزوا هذا المعنى الى معنى الزراعة وأعمالها المختلفة . وكلمة الفلاحة بمعناها الشامل هي التي تُستعمل اليوم رسمياً في الأقطار المغربية . ففي مملكة المغرب مثلاً يقال وزارة الفلاحة ، ومدرسة الفلاحة . وأما كلمة الزراعة الشائعة في قطري الجمهورية العربية ، وفي العراق وغيرها ، فاستعمالها في الحكومات وفي الكتب ، ترجيحاً على كلمة الفلاحة ، لا يتجاوز في التأريخ زمن النهضة الحديثة في القرن الماضي .

وأقدم كتاب عربي في الفلاحة عرفناه هو كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية ألفه سنة ٢٩١ للهجرة . وقال انه نقله عن النبطية . وهو قول مشكوك فيه . ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً . وله قيمة تأريخية ، وهي أنه الكتاب الوحيد الذي يبحث فيه مصنفه عن الفلاحة عند قدماء الآراميين والأنباط ، واستشهد بأقوال رجال منهم ، وذكر أيضاً شيئاً من الأعمال الزراعية التي كانت تؤتى في زمنه .

وظهر في أوائل القرن الرابع الهجري كتاب اسمه كتاب الفلاحة الرومية ألفه قسطوس بن أسكورا سكينة[1] ونقله الى العربية سرجس بن هليا الرومي ، وطبع في القاهرة سنة ١٢٩٣ للهجرة . والكتابان المذكوران النبطي والرومي يشتملان على معلومات زراعية مفيدة الى جانب خرافات وأوهام كثيرة لا العلم يقرها ولا العقل . ولا دليل على أن هذين الكتابين العربيين قد عرفها

---

(١) ليس قسطوس هذا قسطا بن لوقا البعلبكي المذكور غلطاً في طبعة ترجمة الكتاب . والمظنون أن المؤلف قسطوس هو المعروف عند علماء الغرب باسم كَسِّيانوس بَسُّوس Cassianus Bassus . (يراجع بحثي المشار اليه في الحاشية سابقاً) .

أوربيو القرون الوسطى ، ولا أنها كان لها تأثير في فلاحتهم . ومثل ذلك يقال في الجزء الرابع من الكتاب المخطوط المسمى (مباهج الفكر ومناهج العبر) لجمال الدين الوطواط (توفي سنة ٧١٨ هـ) ، وكتاب (جامع فوائد الملاحة في علم الفلاحة) لرياض الدين الغزي العامري من علماء القرن العاشر الهجري (وهو مخطوط) ، ومختصره المسمى علَم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ — ١١٤٣ هـ) ، وقد طبع في دمشق سنة ١٢٩٩ للهجرة .

وعلينا أن ننتقل الى الأندلس لكي نجد ما كان لكتب الفلاحة العربية والتجارب والأعمال الزراعية من تأثير في فلاحة الإسبان والأقوام المجاورة لهم . ففي الأندلس ظهر عدد من العلماء تجنبوا ذكر الأوهام والخرافات في كتبهم ، وتتبعوا الأعمال الزراعية في أراضيهم وأراضي الفلاحين ، وعكفوا على التجارب الزراعية في الحدائق والحقول . فأبو زكريا يحيى بن محمد المعروف بابن العوام الاشبيلي (توفي في نحو سنة ٥٨٠ هـ) صاحب كتاب «الفلاحة الأندلسية» المشهور والمنقول الى الاسبانية والفرنسية كان يقوم بتجاربه الزراعية على جبل الشرف جنوبي اشبيلية . ومن قبله كان عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير اللخمي المعروف بابن وافد (٣٩٨ — ٤٦٧ هـ) يتولى غرس جنة المأمون بن ذي النون الشهيرة في طليطلة . وقد اختص بالفلاحة وبالمفردات الطبية . وصنف كتاباً زراعياً سماه «المجموعة» عثر أخيراً على نسخة منه في المغرب .

وفي ذلك العصر نفسه ظهر في طليطلة أيضاً عالم زراعي اسمه عبد الله محمد ابن ابراهيم بن البصال (الفصال) فألف كتاباً عثر عليه منذ زمن قريب ، فترجم بالإسبانية ، ونشره الأستاذ مياس بييكروسا والسيد محمد عزيمان ، سنة ١٩٥٥ ، في معهد مولاي الحسن بتطوان . وهو من جملة الكتب التي ذكر ابن العوام أنه نقل منها الى كتابه .

ومن تلك الكتب أيضاً كتاب ألفه عالم عاش في أوائل القرن السادس للهجرة اسمه محمد بن مالك التجناري ، ويعرف بالحاج الغرناطي . وكان فقيهاً وزراعياً ، ألف كتاباً وأهداه الى أمير غرناطة أبي طاهر تميم أحد أولاد يوسف ابن تاشفين . وذكر بيبوكروسا أن مخطوطته التي عثر عليها ستطبع عما قريب .

ومنها كتاب أحمد بن محمد بن الحجاج من اشبيلية ، عاصر ابن وافد وابن البصال ، وكان عالماً بالنحو أيضاً ، وله كتاب «المقنع» لم ينشر . وقد أكثر ابن العوام من النقل عنه . ومنها كتاب الشيخ الحكيم ابن الخير الاشبيلي من الذين لم نعثر على ترجمتهم الخ .

ويتبين من مراجعة المعروف من هذه الكتب أن الفلاحة في الأندلس كانت قد أصبحت فناً تجرّب فيه تجارب عملية مختلفة : كتأثير بعض الأسمدة في غلات النباتات الزراعية ، وكأشكال التقليم والتطعيم ، وزراعة نباتات أجنبية في مختلف الأقاليم الزراعية ، ومكافحة بعض الأمراض والحشرات ، وإيجاد أصناف جديدة من الغلات والأثمار وغير ذلك .

وليس بعجيب ، بعد أن بلغت مدنية العرب في الأندلس المستوى الرفيع الذي يعرفه العالم ، أن يقتبس الفلاحون الاسبان من مجاوريهم العرب المفيد من الأعمال الزراعية ، وأن يزرعوا ما نقلته العرب الى الأندلس من النباتات الزراعية المشهورة ، وأن ينقل بعض الإسبانيين كتب الفلاحة العربية الى اللغة القشتالية للإفادة منها .

وهذا الرأي قد أثبته حديثاً بيبكروسا الأستاذ في جامعة برشلونة في كتيب له بالإسبانية عنوان ترجمته العربية «علم الفلاحة عند المؤلفين العرب» (١) فما جاء

(١) هو Jose M.ª Millas Vallicrosa وقد ترجم اسمه بما يلي: خوسي ماريه مياس بيكروسا وذلك في كتيبه المذكور المطبوع سنة ١٩٥٧ في معهد مولاي الحسن بتطوان . وفي الترجمة ركاكة وفيها أغلاط .

في ص ٤٧ من الترجمة : « ومن الغالب أنه قد تمت في القرن الثالث عشر ٠٠٠٠٠٠٠ وأن تُرجمت كتب ابن وافد وابن بصال في الفلاحة الى اللغة القشتالية . وقد وصلت الينا تلك المؤلفات في ترجمات قشتالية موزعة غفلاً » .

« ونحن نرى أن هذا العلم الفلاحي للإسبانيين المستعربين[١] قد أثر في الفلاحة إبان عصر النهضة » .

وأنهى كتيبه بقوله :[٢] « وان الفلاحة العربية لم تؤثر فقط في العمل الفلاحي الإسباني بل أثرت في نفس العلم الفلاحي العربي الذي انبثق عنه القسم الهام من العلم الفلاحي الإسباني الحديث » .

هذه شهادة مستشرق اسباني أعتقد أنه لم يبلغ أحد من المستشرقين مبلغه في دراسة أمور الفلاحة عند عرب الأندلس .

ولا بد لنا بعد هذا من التنويه بما في تاريخ الأمة العربية من أعمال باهرة في شؤون الإسقاء في زمن الأمويين والخلفاء الأولين من العباسيين ، كتشييد السدود ، وفتح الأنهار ، وكري الأنهار القديمة وسد بثوقها ، وإقامة المسنيات والنواعير والقناطر ، وذلك قبل الإسلام في اليمن ، وبعد ظهور الإسلام في أنحاء كثيرة من البلاد العربية .

ويضاف الى ذلك ما جاء في الشرع الإسلامي وفي الفقه من أحكام وقواعد قويمة تتعلق باستغلال الأرض : كالخراج والعشر ، وشروط المساقاة والمزارعة ، وكري الأنهار والجداول وإصلاحها ، وحرم القنوات والآبار والأنهر ، وإحياء الأرض الموات ، الى غير ذلك مما كان له تأثير يذكر في ثبات الناس على استغلال الأرض وعمارتها .

---

(١) يشير الى عرب الأندلس .
(٢) ما جاء في الترجمة حرفياً .

ولا عجب بعد ذلك كله أن أنهي حديثي هذا بجمل تنتهي بها محاضرة عنوانها « تاريخ الزراعة في بلاد العالم العربي » [1] كنت ألقيتها سنة ١٩٢٦ في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهي في إيجاز :

«يستخلص مما ذكرته عن الزراعة في بلادنا بعد ظهور الاسلام ، أنه حق لأجدادنا الفخر لاحتفاظهم بكثير من معارف الأقدمين الزراعية ، وإضافتهم تجاربهم وملاحظاتهم اليها ، مما لا يخلو من فوائد عملية ، ومن حقائق علمية تقرها عقولنا في هذا الزمن . فكما قيض التأريخ رجال هذه الأمة الكريمة للاحتفاظ بعلوم اليونان والرومان والفرس والهنود والأنباط في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات وغيرها ، جعلهم أيضاً حافظين للفنون الزراعية وعاملين على توسيعها ونشرها» .

مصطفى الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الثالث من المجلد السابع : آذار « مارس » سنة ١٩٢٧) .

الأوزان العربية
في المصطلحات العلمية
-٣-

٣ — وزن (فَعَلان) :

ماجاء من الكلام العربي القديم على هـذا الوزن يدل على الاضطراب والحركة[١] . وها كم ١٤٧ كلمة مستنبطة من القاموس المحيط للفيروزابادي .

ثوَبان	الرجوع والإقبال	ردجان	الدرجان
ضربان	الضرب	زلجان	التقدم
لميان	شدة الحر	سلجان	البلع
نعبان	صوت الغراب	سوجان	السير رويداً والذهاب والمجيء
وثبان	الوثب والطفر	ضيجان	الميل
هربان	الفرار	عرجان	مشية الأعرج
لهثان	العطش	وهجان	اتقاد النار
درجان	المشي	هدجان	مشية الشيخ
رتجان	الدرْج والهيجان	هيجان	الثوران

---

(١) كان مجمع اللغة العربية بمصر أقر قياسية (فَعَلان) من فَعَل اللازم المفتوح العين إذا دلّ على تقلب واضطراب ، انظر المجلد ٢ سنة ١٩٣٥ من مجلة المجمع المذكور . وقد اتخذنا منذ زمن طويل هذا الوزن لمصطلحاتنا الدالة على الحركة والاضطراب .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسحان ضربان الجرح بوجع
صفحان انصباب الدم
سيحان جريان الماء على وجه الأرض
فيحان انتشار رائحة المسك
لمحان اللمعان
لوحان الومضان
مرحان شدة سيلان العين
نفحان الفوحان وهبوب الريح
سوخان الرسوب والانخساف
سيخان الرسوب والرسوخ
خفدان الإسراع في المشي
رقدان الطفر نشاطاً
عقدان الوثب بعد صف الرجلين
ميدان التحرك والزيغان
نودان التمايل من النعاس وحركة الغصن
نبذان طرح الشيء إلى الأمام أو الوراء وضربان العروق
تغران الغليان (كالنغران أو هذا هو الصواب)
ثوران الهيجان
خثران غلظ اللبن
خطران الضربان ، المشي مع رفع اليدين ووضعها

دوران الحركة في استدارة
سكران نقيض الصحو
ضبران الوثب بجمع القوائم
طيران حركة ذي الجناح في الهواء
عتران اضطراب الرمح واهتزازه
عثران مشية مقطوع الرجل
قفزان الوثب
فوران الجيشان والفوارن والنبع
قزلان الوثب ومشي العرجان
غيفان تمايل أغصان الشجرة يميناً وشمالاً
قطران السيلان قطرة قطرة
نسمان الهبوب
نظران التأمل بالعين
نغران الغليان غضباً ، وفوران القدر
نفران الشرود والتباعد
رمزان النقز (للظبي)
نقزان الوثب (للظبي)
بقزان الوثب
جوسان التردد خلال الديار والطوف فيها
خيسان الغدر والنكث
رعسان تحريك الرأس كبراً
ريسان المشي تبختراً

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عدسان	الذهاب في الأرض
عوسان	الطوّفان بالليل
كدسان	إسراع المثقل في السير
ميسان	التبختر
جهشان	الفزع
جيشان	الغليان
نغشان	تحرك الشيء في مكانه
حيصان	العدول والحيدان
ديصان	الروغ والحيدان والغدة جاءت وذهبت تحت يد محركها وكذا كل ما تحرك تحت يدك
رقصان	الخبب (للأعب والإبل)
كيصان	الكُمّ عن الشيء
لحصان	المَدْو والسرعة
نوصان	التحرك
فيضان	كثرة الماء
نبضان	الحركة
نفضان	الحركة والاضطراب
ومضان	اللمعان خفيفاً
سرطان	الابتلاع
جوظان (وجيظان)	الاختيال في المشية

لحظان	النظر بمؤخر العين
تيعان	الخروج والسيلان والذوبان
خفعان	تحرك الستر أو الثوب ، واسترخاء المفاصل
خمعان	مشي الأعرج (الضبع)
زمعان	المشي البطيء
ذأفان	الموت
ذيعان	الانتشار (للخبر)
رمعان	السير السريع
شيعان	الذبوع
ضبعان	سير الخيل والإبل مع مد أضباعها في سيرها
قوعان	الطلوع والنكوص
لقعان	المرور بسرعة
لمعان	الاضاءة
ولعان	الاستخفاف
هبعان	المشي في مد العنق
روغان	الميلان والحيدان عن الشيء
زوغان	الميلان والجور (في المنطق)
زيغان	الميل وكلال البصر والشك والجور عن الحق
سوغان	سهولة من خل الشراب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حذفان ضرب من سير الإبل
خشفان الذهاب في الأرض
خطفان المشي بسرعة
دلفان مشي المقيد وفوق الدبيب
ذرفان سيلان الدمع، والمشي الضعيف
ذعفان الموت
رجفان الحركة والاضطراب شديداً
رسفان مشي المقيَّد
زحفان المشي
طَوَفان الجري حول الكعبة
عيفان الكُره
غيفان ميلان الأغصان يميناً وشمالاً
كتفان سرعة المشي
لقفان التناول بسرعة
نطفان سيلان الماء
يرقان المعان
توقان الاشتياق، والدموع خرجت
من الشؤون
حيقان الاحاطة بالشيء
خنقان الاضطراب والتحرك ،
واضطراب القلب وهو خنقة
تأخذ القلب
غسقان الانصباب

نمقان الصياح (للمنزجر، والغراب)
ودقان إرادة الانثى الفحل (من
ذوات الحوافر)
حتكان المشي بتقرب الخطو مسرعاً
حيكان التبختر والاختيال ، أو
تحريك المنكبين والجسد
في المشي .
رتكان حركة البعير مع تقريب
خطوه
زأكان (وزوكان ، وزيكان)
التبختر
عيكان المشي مع تحريك المنكبين
اتلان المشي بتقريب الخطو بغضب
جولان الطواف
حجلان رفع الرِجل والتربث في
المشي على الرجل
ختلان الخداع
خطلان الكف عن بعض المشي
دألان الختلان
دملان إصلاح الأرض
ذألان الاسراع في المشي بخفة ومَيْس
ذملان السير اللين أو فوق العَنَق

رفلان	العدو بنشاط ، ومن الدواب ظلعها بنشاط	وشلان	السيلان والقطران (للماء)
زولان	الزوال وهو الذهاب	هتلان	التهطال (للسماء)
سيلان	الجريان	هيلان	الانصباب (للرمال)
شولان	الرفع (رفع الناقة ذنبها)	سجمان	القطران والسيلان (للدمع والسحابة)
صولان	السطو والوثب	هيمان	الحب
عسلان	اضطراب الفرس في عدوه وهزه برأسه، واضطراب الماء مع تحريك الريح له	عمهان	التردد في الضلال والتحير
		نفيان	طيران التراب بالريح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصطلحات التي وضعتها قياساً على هذا الوزن على وجه عام ، مع ما يقابلها بالفرنسية :

رَحلان	Cataphorèse	حوران	Mutarotation
نبذان	Centrifuge	موجان	Ondulation
جبذان	Centripète	نوسان	Oscillation
رعفان	Épistaxis	نبضان	Pulsation
حيدان	Inflexion	صبلان	Tomber gutte à gutte
نغشان (بروني)	Mouvement (brownien)	رعشان	Transissement
روذان	Mouvement de va et - vient	نقضان	Translation
		سربان	Transition

رحلان : من رحل وارتحل عن المكان انتقل . لظاهرة كهربائية تتصف بها المحلولات الغرويدية . إذ ترحل المذيلات Micelles من جهة لأخرى تحت تأثير الساحة الكهربائية .

نبذان : من نبذ الشيء طرحه أمامه أو وراءه أو عام ، تخصيصاً لحركة من المركز إلى المحيط كما يدل عليه معنى الكلمة الافرنجية .

جبذان : من جبذ الشيء كالاجتباذ جذبه أي مده أو حوّله عن موضعه وهو لغة صحيحة وليس مقلوباً عن الجذب . والانجباذ ، الانجذاب ، تخصيصاً لحركة من المحيط إلى المركز كما هو مدلول الكلمة الافرنجية .

رعفان : من رعف كنصر وكرم وعُني وسمع ، خرج من أنفه الدم . تخصيصاً لحالة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حيدان : من حاد محيداً ، مال . تخصيصاً لحالة .

نغشان : من نغش تحرك في موضعه لحركة دون تقدم المتحرك .

روذان : من الرَّوذة الحركة في ذهاب ومجيء . لحركة في ذهاب ومجيء كحركة رواذ المحركات (Piston) وهو الجزء الذي يتحرك ذهاباً وجيئة .

حوران : من الحَوْر وهو الرجوع والنقصان ، ومن حوّر الخبزة هيأها وأدارها ، تخصيصاً لظاهرة ضوئية يتصف بها بعض الأجسام كالغلوكوز مثلاً من حيث تدويره النور المستقطب تدويراً لا يلبث أن يرجع وينقص حتى يستقر عند حده الثابت .

موجان : من الموج لحركة على شكل الأمواج .

نوسان : (مع الأستاذ المرحوم جميل الخاني) من النوس وهو التذبذب . تخصيصاً لحركة الشيء المعلّق في الهواء . ومنه النوّاس (Pendule) الذي كان يسميه بعضهم (الرقاص ، البندول) الخ .

نبضان : من نبض العرق تحرك . تخصيصاً لحركة في اقذاف .

ستلان : من ستل سال قَطَراناً كاللؤلؤ والدم . للانصباب قطرةً قطرةً . ومنه السّتالة (Burette) لما كان يطلق عليها (قطّارة) .

رعشان : من رعش أخذته الرعدة . للاضطراب من الخوف والبرد ونحوهما .

نغضان : من نغض تحرك واضطرب . تخصيصاً لحركة في تقدم .

سريان : من سرى عرق الشجر دب تحت الأرض ، وسرى الداء انتقل ، تخصيصاً لحركة في انتقال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

٤ ـــ وزن (فُعالة) :

ما جاء من الكلام العربي على هذا الوزن فيه دلالة على بقية شيء أو رديئه أو الردي من كل شيء . وإليك الأمثلة ، [٩٠ كلمة] مستنبطة من القاموس المحيط للفيروزابادي .

زُغابة	أصغر الزغب	طباخة	ما فار من رغوة القدر
صبابة	البقية من الماء واللبن	برادة	السحالة (ما حصل عن البرد بالمبرد
نحاتة	البراية		
كساحة	الكناسة	خشارة	الرديء من كل شيء

سفارة	الكناسة
صهارة	ما صهر أو ذيب من الشحم أو كل قطعة من الشحم
ضبارة	ما جمع وحزم
عصارة	ما تحلب من العصر
قرارة	ما بقي في القدر ، أو مالزق بأسفلها من مرق ، أو حطام تابل
قشارة	ما قشر من اللحاء أو الجلد
قصارة	ما بقي في المنخل بعد الانتخال
قطارة	ما قطر من الشيء
كسارة	ما تكسر من الشيء
مصارة	ما سال من اللبن
موارة	ما نسل من صوف الشاة حية كانت أو ميتة
نثارة	ما تناثر من الشيء
نشارة	ما سقط في النشر
نفارة	ما يأخذه الغالب من المغلوب أو الحاكم
نقارة	قدر ما ينقر الطائر
قوارة	ما قوّر من الثوب ، ما قطع من جوانب الشيء ، الشيء الذي قطع من جوانبه
وذارة	قوارة الخياط
جزازة	ما جز من الشعر والحشيش والصوف
ضوازة	شظية من السواك
كناسة	القمامة
خراشة	ما سقط من الشيء إذا قرشته بحديدة أو نحوها
مشاشة	رأس العظم الممكن المضغ
حفاصة	ما جمع من الشيء
خصاصة	ما يبقى في الكرم بعد قطافه
خلاصة	ما خلص من الشيء
قراضة	ما سقط بالقرض
نضاضة	بقية الماء
نفاضة	ما سقط من المنفوض
نقاضة	ما نقض من حبل الشعر
سفاطة	متاع البيت
سقاطة	ما سقط من الشيء
مزاعة	سقاطة الشيء
نخاعة	النخامة أو ما يخرج من الخيشوم
نشاعة	ما انتشعته إذا نزعته بيدك ثم ألقيته
نطاعة	اللقمة يؤكل نصفها فترد إلى الخوان

نقاعة الماء الذي ينقع فيه

مضاغة ما مُضغ

نباغة الهبرية

جفافة ما ينتشر من الحشيش والقت

حذافة ما حذفته من الأديم وغيره

حسافة ما يتناثر من التمر الفاسد ، وسحالة الفضة

حفافة بقية التبن والقت

حوافة ما يبقى من ورق القت على الأرض

شفافة بقية الماء في الإناء

طفافة ما قصر عن ملء الإناء

عصافة ما سقط من السنبل من التبن

عفافة بقية اللبن في الضرع بعد ما امتكّ أكثره

نسافة ما يسقط من المنسف

غرافة ما يغرف ، والمجتنى

حراقة ما يقع فيه النار عند القدح

مراقة ما انتتف من الصوف أو من الكلأ القليل

مشاقة ما سقط من الشعر أو الكتان عند المشط

حكاكة ما يسقط من الشيء عند الحك

ابالة الحزمة من الحطب

ثمالة الرغوة

جفالة ما أخذته من رأس القدر بالمغرفة ، وما نفاه السيل

حذالة الحثالة وحطام التبن

حسالة سحالة الفضة ، وما يكسر من قشر الشعير وغيره

حصالة ما يبقى من الشعير والبر في البيدر إذا عزل رديئه

حفالة الحثالة وما رقد من عكر الدهن ورغوة اللبن

خصالة كالحصالة

ذبالة الفتيلة

رذالة ما انتقي جيده

زبالة شيء ما

ستالة الرُّذالة

سحالة ما سقط من الفضة والذهب إذا بُرد

سفالة أسفل كل شيء

سلالة ما انسل من الشيء

صلالة ما صلّ أي عزل من الحب المختلط بالتراب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

علالة	ما يتعلل به ، وما حلب بعد الفيقة الأولى ، وبقية اللبن
غسالة	ما يخرج من الشيء بالغسل
فسالة	ما تناثر من الحديد ونحوه عند الضرب إذا طبع
فضالة	البقية
قصالة	ما عزل من البر إذا نقي فيرمى به
نخالة	ما ينخل به منه ، وما بقي في المنخل
هزالة	الفكاهة
طرامة	الخضرة على الأسنان
قلامة	ما سقط من الظفر بتقليمه
قمامة	الكناسة
نخامة	النخاعة
جفاية	السفينة الفارغة
نفاية	البقية ، ورديء الشيء
نقاية	ما ألقي من الطعام ورديئه

المصطلحات التي وضعتها قياساً على هذا الوزن :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فُشّاشة	Abat	ركامة	Conglomérat
سلابة	Abats	قصارة	Criblure
خلالة	Acétolat	دواية	Croute de lait
جذابة	Adsorbat	نباذة	Culot
ضمامة	Ajoute	هضامة	Digeste
غوالة	Alcoolat	نثارة	Dispersat
شماعة	Cérat	نخابة	Éluat
فصالة	Coacervat	فراغة	Excrétat
تمامة (الخميرة)	Co - ferment	نفاثة (نخامة)	Flègme
ركازة	Concentré	لواثة	Fleurage
كثافة	Condensé	حصابة	Flocon

صهارة	Fonte	بقاية (فضالة)	Résidu
هلامة	Gel	جفافة	Résidu sec
جُناسة	Homogénat	فرازة	Secreta
ذوابة	Lysat	حلالة	Sol
مرائة	Marmelade	صعادة	Sublimat
رسابة	Précipité	علاقة	Suspension
لحاقة	Prosthétique	حثالة	Tourteau

فشاشة : من فَشّ الوطبُ أخرج ما فيه من الريح . للجلد الذي أخذ انتفاخه بالزوال .

سلابة : من السَّلَب وهو من الذبيحة اهابها وأكرعها وبطنها الخ .

خلالة : من الخل ، الأدوية التي تهيأ بتقطير نقاعة النباتات في الخل .

جذابة : من الجذب ، شكل صيدلاني مؤلف من الفحم المنشّط وما استجذبه من مادة دوائية جعلت بملامسته .

ضمامة : من الضم وهو قبض شيء إلى شيء . لما يضم به شيء إلى شيء ، للمواد التي تضم إلى بعض المواد المتعبئة أو التحميل .

غوالة : من الغول ، الدواء الذي يجهز بتقطير الغول معالجاً بمادة دوائية واحدة أو أكثر .

شماعة : من الشمع . للمزيج المؤلف من الزيت والشمع ؛ ويستعمل صواغاً لبعض الأدوية .

تمامة : من تم وأتم . للجزء الذي يتمم الخميرة وهو لا يتلف بالحرارة .

ركازة : من التركيز ، لحصول التركيز .

كثافة : من التكثيف ، لما يبقى بعد التكثيف .

ركامة : من الرَّكْمْ وهو جمع شيء فوق آخر حتى يصير رُكاماً كركام الرمل ، وتراكم اجتمع ؛ لمزيج البلورات المختلفة الجنس المتراكمة .

قصارة : من قَصَّر يقصِر . لما يبقى في المنخل بعد الانتخال .

دواية : ما يعلو اللبن ونحوه اذا ضربته الريح كغرقيء البيض (أي كقشرة البيضة الباطنة) . فهو إذن (قشرة اللبن) وهو معنى الكلمة الافرنجية .

نباذة : من النبذان . للرسابة المنفصلة بالمنبذة عن المائع . وأطلق عليها بعضهم كلمة (الثفل) لكن الثفل هو لما يوافق Sédiment .

هضامة : من الهضم . لمحصول التهضيم الكيمياوي أو الأحيائي .

نثارة : من نثر الشيء رماه متفرقاً كنثره . لما تناثر عن النثر .

نخابة : من النُخْبة ، وانتخبه اختاره . للمادة المستجذَبة على الجذّابات .

فراغة : من فرغ منه كنتع وسمع خلا ذرعه . لما يتفرغ من البدن الحي من الفضلات التي لا تفيده .

نفاثة (نخامة) : من نفث ينفث وهو كالنفخ وأقل من التَّفْل ، ومن نخم كفرح دفع بشيء من صدره وأنفه . لتلك المواد التي تشوب محصول الاختيار الفولي ، وتنفث أو تنخم أي تدفع بالتقطير والتصفية في الأجهزة الخاصة .

لوانة : وهي دقيق يذر على الخوان تحت العجين .

حصابة : من الحاصب ما تناثر من دقاق الثلج والبَرَد ، والسحاب الذي يرمي بها . تخصيصاً لما يحدث في باطن الموائع شبه دقاق الثلج ، في بعض التفاعلات .

صهارة : من الصهْر . للشيء المصهور من معدن وغيره تخصيصاً .

هلامة : من الهلام . للمحلول الغرويدي الذي يأخذ شكل الهلام حين الجمود .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جناسة : من الجنس والتجنيس .

ذوابة : من الذَّوْب . لحصول تحلل النسج أو الخلايا بفعل الخمائر أو غيرها .

مرائة : من مرث كمرس زنةً ومعنى ، لحصول مرس الفواكه على اختلاف أنواعها .

رسابة : من رسب . لما يرسب في أسفل مائع كدر أو ما يرسّب بإضافة مادة كيمياوية مناسبة للغرض . وهي خير مما كان يسميه بعضهم (رُسوب) على المصدرية أو (راسب) على اسم الفاعل وليس هو المقصود من الكلمة الافرنجية .

لحاقة : من (لحق يلحق) .

بقاية : من بقي . وهي البقية ، كالفضلة والفضل أو الفضالة .

جفافة : من جفّ يجف ، البقية الباقية بعد التجفيف . وهي خير من الترجمة الحرفية (البقية الجافة) التي يستعملها بعضهم .

فرازة : من الفَرْز وهو عزل شيء من شيء وميزه كالافراز ، والفِرْزة بالكسر القطعة مما عُزل . لما تفرزه غدة من غدد الكائن الحي من المواد .

حلالة : من الحل . للمحلول الغرويدي الكاذب .

صعادة : من صعد ، صعّد . للجزء المتصعد من المادة المعروضة على التصعيد بالحرارة .

علاقة : من التعليق . لذلك المزيج الناتج من جعل ذرات المادة الغرويدية أو المادة غير الذوابة ، معلقةً في باطن المائع .

حثالة : من الحَثْل وهو سوء الحال أيضاً . لما لا خير فيه والرديء من كل شيء . وتخصيصاً لما يثفل في أسفل المائع من الرسابة .

الكواكبي

سعدي الشيرازي

في بلاد الشام

إن من يتتبع آثار هذا الشاعر العظيم الذي طبقت شهرته الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها ، يستطيع أن يستخلص تاريخ حياته بسهولة مما تركه بين أيدي الناس يتداولونه ويتدارسونه فيما بينهم ، معجبين مأخوذين بهذه العبقرية الفذة التي لا يجود الزمان بمثلها إلا في فترات قليلة بين حقبة وأخرى من الدهر بعيدة المدى متطاولة الأمد . وإن الذين أرخوه وعنوا بآثاره استخلصوا تاريخ حياته من دواوينه الشعرية ومن نثره الساحر خصوصاً في كتابه الخالد گلستان وفي ديوانه الفاتن بوستان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما اسمه الكامل فهو الشيخ مشرف الدين بن مصلح الدين السعدي ، ولقب بالسعدي نسبة الى (الأتابك أبي بكر سعد بن زنگى) الذي أعانه في شبابه على طلب العلم في بغداد والذي أغدق عليه نعمه أيام شيخوخته في شيراز . ويدل على ذلك ما أورده في مقدمة گلستان بهذا العنوان ما ترجمته :

محامد ملك الإسلام خلد الله ملكه

لقد وقع جميل ذكر السعدي بأفواه الأعوام ، وتغلغل صيته بآفاق البسيطة لما أبداه من بليغ الكلام ، وذاق الناس من حديثه المقطر ما يشبه حلاوة السكر ، ورفعوا رقع إنشائه الى رتبة الأوراق الذهبية ، ومع كل ذلك فلا يليق به أن يحمل هذا على فضله وبلاغته الأدبية ، بيد أن ملك الأوان

وقطب دائرة الزمان ، القائم مقام سليمان ، الناصر أهل الإيمان ملك الملوك المعظم الأتابك الأعظم مظفر الدين أبو بكر سعد بن زنكي ظل الله في أرضه ، رب ارض عنه وأرضه ، لما لحظه بعين عنايته ، وأيده ببليغ رعايته ، وأظهر له صادق إرادته ، كان ذلك الاحترام ، موجباً لإقبال كافة الأنام ، من الخواص والعوام ، ولا جرم «فالناس على دين ملوكهم» .

ويحدد مولده بعام ٦٠٦ هـ للبيت الذي أورده في گلستان إذ يقول :

ای که پنجاه رفت ودر خوابی مگر این پنجروز دریابی

يا مذهب الخمسين بالنوم سدى أيامك الخمس قريبة المدى

ويحدد زمن تأليفه گلستان هذان البيتان :

مثنوي

دران مدت که ماراوقت خوش بود زهجرت ششصد وپنجاه وشش بود

مرادما نصيحت بود وگفتيم حوالت يرخدا كرديم ورفتيم

رجز

ما بين رقمي ستة ضع خمسة تجد بتاريخ الكتاب بهجة

لقد أردنا النصح في هذا العمل ما خاب يوماً من على الله اتكل

ويحدد شمس الدين سامي في قاموس الأعلام التركي تاريخ وفاته بعام ٦٩١ هـ والدكتور رضا زاده شفق في قصة الأدب الفارسي يقول : وتوفي الشيخ بين سنة ٦٩٠ هـ وسنة ٦٩٤ هـ في شيراز ودفن بها .

(رحلته الى بغداد لطلب العلم)

رحل في عنفوان شبابه الى بغداد لطلب العلم فيها أيام اضطراب بلاد فارس ، قبل سنة ٦٢٣ هـ وقد كانت بغداد في ذلك العهد نجعة الرواد من أهل العلم

وقبلة القصاد ، فحضر فيها دروس أساتذتها كالشيخ شهاب الدين السهروردي وهو من كبار رجال الصوفية وأبي الفرج بن الجوزي وأمثالها . وقد كان من نتائج هذا السفر ومن التقائه بعلماء بغداد وعظمائها أن كان لكل هذا تأثير لا حد له في نفسية شاعر شاب وفي أفكاره كذلك .

ثم عاد السعدي بعد بضع سنوات من تحصيله في هذه المدينة الى موطنه في إيران وقد تعرض الى هجمات المغول فتأثرت نفسيته ورغب أن يطوف العالم ويجوب نواحيه ، فقام في رحلات طويلة واستقر به المطاف في دمشق فأقام فيها واعتكف بجامعها ، وجوب في بلادها وعاشر أهلها من الطبقات العليا الى الطبقات الدنيا ، واختلط بالعلماء والصوفية والسنيين والملاحدة وقد تزود من كل ما تحمله أفكارهم .

(متى وجد السعدي في بلاد الشام)

ARCHIVE

إن من الحق علينا أن نعنى عناية فائقة بالتعرف على الزمن الذي وجد فيه هذا العبقري الخالد في بلادنا والذي هجر دياره وآثر الاقامة في ديارنا فعاشر أسلافنا وجاورهم ، وأقام ردحاً من الزمن بين ظهرانيهم يفرح لفرحهم ويحزن لترحهم ، حتى اضطر في النهاية الى هجر دمشق العزيزة عليه في سنة ٦٤٣ هـ كما يغلب على ظني حين ابتليت بالقحط والغلاء والجراد وجفاف مياه العيون والأنهار ، فرثاها أبلغ رثاء وبكاها أحر بكاء ، وخرج منها هائماً على وجهه في صحراء القدس ، فأوقعه سوء حظه أسيراً بيد الافرنج ، وستمر بنا قصته بكاملها في نهاية البحث .

والآن أعرض عليك أيها القارئ الكريم ترجمة بعض الحكايات التي ورد ذكر بلادنا فيها معتمداً على كتابه گلستان وعلى ديوانه بوستان وبالله التوفيق .

(اعتكافه بجانب تربة يحيى عليه السلام)

اعتكفت في بعض السنين بجانب تربة يحيى عليه السلام بالمسجد الجامع بدمشق ، واتفق أن جاء لزيارة أحد ملوك العرب وكان معروفاً بعدم الإنصاف ، وبعد أن صلى وتضرع لقضاء حاجته . (بيت)

أخو البؤس والمثري فقير ببابه وأكثرهم مالاً أشد له فقرا

التفت إلي وقال : من هذا المقام الذي هو مبعث همة الدراويش وصدق معاملتهم وجه الخاطر بمرافقتي فإنني في تفكر ووسواس من عدو لي صعب المراس . فقلت له : ارحم ضعف رعيتك حتى لا ترى صعوبة من قوة عدوك .

قطعة

أبقوة في ساعديك وسكة بالجمع تخضد شوكة الضعفاء
خف إن وقعت ولم تجد لك راحماً أو من يمد إليك كف ولاء
من يزرع الفعل القبيح ويرتجي طيب الجنى يحصده شر جناء
فإلي ألق السمع واعدل في الورى أو لا فيوم الحشر يوم جزاء

رجز

الناس كالأعضاء في التساند لخلقهم من كنه طين واحد
اذا اشتكى عضو تداعى للسهر بقية الأعضاء حتى يستقر
إن لم تغم لمصاب الناس فلست إنساناً أخا إحساس

(رجل من صلحاء جبل لبنان في جامع دمشق)

دخل إلى جامع دمشق رجل من صلحاء جبل لبنان وكانت له في بلاد العرب مقامات مذكورة وكرامات مشهورة ، ولما جلس على طرف بركة (الكلاسة)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليتوضأ زلت قدمه فوقع فيها ولو لم تتداركه العناية لغرق · وبعد أن أدى المصلون الصلاة المكتوبة قال له أحد الأصحاب : أيها الشيخ عندي مشكل. فقال الشيخ : وما ذاك ؟ فقال : أذكر أنني كنت رأيتك تمشي على وجه بحر المغرب ولم تبتل لك قدم · واليوم كدت أن تغرق بما لا يزيد عن عمق قامة من الماء فما السر في هذا يا ترى · فأدخل الشيخ رأسه في جيبه وبعد تأمل طويل رفع اليه رأسه وقال : ألم تسمع ما قاله سيد العالم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل » ولم يقل كل وقتي كان هكذا · وإلا لما تفرغ لجبريل وميكال ولما بنى بحفصة وزينب وغيرهما بأوقات أخرى · لأن مشاهدة الأبرار بين التجلي والاستتار تلمع فتخطف ·

بيت

بحسنك تغريني وتطلب عصمتي ونار الهوى تذكي وتأمر بالتقوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر عربي لسعدي

أشاهد من أهوى بغير وسيلة فيلحقني شأن أضل طريقا
يؤجج ناراً ثم يطفي برشة لذاك تراني محرقاً وغريقا

حكاية منظومة

قالوا لفاقد طفل لا نظير له في الحسن يا خير من أوذي وقد صبرا
أظهرت من بعد ذاك اليأس معجزة يكاد ينكر راويها لنا الخبرا
شممت من (ثيبس) ريح القميص وما أبصرت من جب كنعان له أثرا
فقال نحن كمثل البرق تلمحه طوراً خفياً وطوراً يخطف البصرا
فتارة لا نرى ما تحت أرجلنا كالعمي تدرأ عنها بالعصا الخطرا
وتارة غارب الأفلاك مقعدنا حتى ليزحم فيها عزمنا القدرا
ولو جرت باطراد حالنا لخلت من الحياتين كفي فاتركوا الهذرا

(في جامع بعلبك)

كنت مرة بجامع بعلبك أقرر كلمات بقصد الوعظ على جماعة قلوبهم متحجرة ميتة وعقولهم لم تنصرف عن عالم المبنى الى عالم المعنى فرأيت أن أنفاسي الملتهبة لم تجذبهم الى حضيرة القرب ، ونار روحي المتأججة لم تؤثر بحطبهم الرطب ، فتأسفت أشد الأسف على ضياع تربيتي فيمن يضارع الحيوان ، وعلى وضع مرآتي المجلوة في زاوية العميان ، ومع كل هذا فقد انفتح علي باب المعنى واتسع أمامي مجال القول في هذه الآية الكريمة «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» فكنت أوصل القول الى الغرض المراد منه عن أقرب الطرق حتى قلت :

قطعة

الله أقرب من نفسي إلي وإن نأيت عنه وهذا أعجب العجب
ما حيلتي ولمن أشكو هواه وقد أحاط بي ورماني الهجر بالحرب

وبينا كان سكري من خمر هذا الكلام لا يحد ، وفضلة الكأس لا تزال في اليد ، إذا بعابر سبيل مر من طرف المجلس فأثرت به تلك الفضلة ، فانتشى وصاح صيحة ردد صداها آخرون ، وأصبح المجلس يموج بعضه في بعض من الوجد فقلت : سبحان الله البعيد حاضر بالخبر ، والقريب غائب لفقد النظر .

(سؤال أحد مشايخ الشام عن التصوف)

سألوا أحد مشايخ الشام عن حقيقة التصوف ما هي فقال : كانت هذه الطائفة في غابر الزمان متفرقة في المبنى مجتمعة في المعنى ، أما اليوم فهي في الظاهر متحدة وفي الباطن متفرقة .

قطعة

لا ترج يوماً صفاء العيش مختليا ما دام قلبك بالأغيار يشتعل
وأنت في خلوة ما دمت مرتبطا بالله لو بنعيم الملك تنشغل

(أحد المتعبدين في ديار الشام)

روي أن أحد المتعبدين في ديار الشام عكف على العبادة في غابة سنين طويلة وكان يتغذى بأوراق الأشجار فتوجه لزيارته ملك تلك الجهة وقال له: إذا رأيت من المصلحة أن نهيئ لك مقاماً في المدينة أمرنا بتنفيذ ما تريد لأن تفرغك للعبادة فيها أيسر عليك، وتكون الناس عندئذ قد استفادت من بركات أنفاسكم، واقتدت بصالح أعمالكم. فلم يقبل الزاهد كلام الملك فقال له أركان الدولة: نرى من المصلحة أن توافق على ما رغب به الملك فتقيم بالبلد أياماً وترى مقامك بها، فإن استقام لك فهو المطلوب، وإن رأيت أن صفاء وقتك العزيز تكدر من صحبة الأغيار، فعندئذ يكون لك في نهاية الأمر الخيار. فقيل إن العابد صدع بالأمر وانحدر إلى المدينة فهيأوا له بستاناً حول قصر الملك الخاص بغاية الزينة فكان مقاماً يبهج النفوس، ويسر القلوب فكأنه جنة الفردوس. كما قيل فيه:

سنبله غدائر أرسلت ووروده مثل خدود الحسان
كلاهما من خوف برد العجوز ما ارتضعا من ثدي غيث لبان

شعر عربي لسعدي

وأفانين عليها جلنار علقت بالشجر الأخضر نار

وأرسل الملك اليه في الحال جارية بديعة الجمال. نظم:

فتاة كحسن البدر فتنة عابد بزينة طاووس وطهر ملاك
إذا ما بدت للزاهدين تخاذلوا عن الصبر أو طاحوا بغير حراك

وأرسل إليه على أثرها غلاماً بديع الجمال لطيف الاعتدال .

قطعة من نظم سعدي

هلك الناس حوله عطشا   فهو ساق يرى ولا يسقي

ليس تروى عيون ناظره   كثفرات حلا لمستقي

فأخذ العابد يأكل الطعام الشهي ، ويلبس الكساء البهي ، ويتمتع بحلاوة الثمار ، ويستنشق عبير الأزهار ، ويتملى بجمال الجارية والغلام ، وقديماً قال العقلاء : صدغ الجميلة زنجير ساق العقل الحطر وفخ طائر القلب الحذر .

بيت

صرفت عقلي وديني في هواك وقد   أصبحت فخاً لقلبي الطائر الحذر

وحاصل القول أن دولة زهده آذنت شمسها بالأفول كما قيل : قطعة

كم من مريد وذي نسك ومجتهد   وواعظ ذي بيان طاهر النفس

لما بدنيا الدنايا راح منغمساً   أمسى كنحل جنى بالشهد منغمس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذات مرة رغب الملك بمشاهدته فرآه قد تغير عن حالته الأولى فقد عاد أبيض سميناً مشرباً بالحمرة وألفاه متكئاً على وسادة من الديباج ، وغلام أحور الطرف ملائكي الطلعة قائم على رأسه يروح له بمروحة طاووسية ، فسر الملك كثيراً من حسن حاله ، وأخذ يتفنن معه بالحديث ، ويفتح له أبواباً من النوادر ، حتى قال في نهاية الكلام : أنا أحب من دنياي هاتين الطائفتين العلماء والزهاد . وكان في المجلس وزير فيلسوف مجرب فقال : أيها الملك شرط المحبة أن تفعل معروفاً مع كلتا الطائفتين . فقال الملك وكيف ذلك فقال : أن تعطي الذهب للعلماء حتى يستعينوا به على التبحر بالعلم ، وأن لا تعطي الزهاد شيئاً حتى يبقوا على زهدهم .

بيت :

أخو الزهد لا يبغي لجيناً وعسجدا   فإن رامه فاطلب سواه أخا زهد .

(الشيخ الفارسي المحتضر)

بينا كنت مستغرقاً بالبحث مع طائفة من العلماء في المسجد الجامع بدمشق إذا بشاب دخل علينا من الباب وقال : أبينكم من يعرف اللغة الفارسية ؟ فأشار الجماعة إلي ، فسألته ما شأنك فقال : شيخ سلخ مائة وخمسين ربيعاً تركته يعالج ألم النزع وهو يتكلم الفارسية ، ولم نفهم ما يريد ، فلو أنك كلفت نفسك وذهبت معي إليه لنلت أجراً جزيلاً إذ ربما أنه يؤدي الوصية . فلم أتردد وسرنا إليه جميعاً ولما جلست عند وسادته سمعته ينشد :

أريد لأنفاسي امتداداً وفسحة ... فاني وقد عيت بمخرجها أف
فمن صفرة العمر العزيز فواكهاً ... أكلنا ولم نشبع فقالوا لنا كفوا

ترجمت للدمشقيين معنى ما قاله بالعربية فتعجبوا من طول عمره وتأسفه على الحياة الدنيا . وسألته كيف ترى نفسك في هذه الحالة فأجاب . ماذا أقول وأنشد :

ألا ترى أي آلام تنال فتى ... من قلع ضرس أصابتها يد الزمن
قس ساعة النزع ما حال الشقي وقد ... سلت بها روحه قسراً من البدن

فقلت له : اطرد شبح الموت عن مخيلتك ، ولا تترك الوهم يستحوذ على طبيعتك ، لأن الفلاسفة قالوا : المزاج مهما كان معتدلاً فلا يلزم أن يعتمد معه على البقاء ، والمرض مهما كان مخوفاً فلا يمكن أن يدل دلالة قطعية على الهلاك . فلو أمرت فدعونا طبيباً لمعالجتك لكان خيراً لك فقال : هيهات وأنشد مرتجزاً :

يزخرف القصر الأمير المنعم ... والقصر من أساسه ينهدم
قد ييأس الطبيب إذ يرى الخرف ... من المريض إن مزاجه انحرف
يحتضر الشيخ لقرب الأجل ... والزوج تطليه بدهن الصندل
أجل إذا ما انحرف المزاج ... فلا الرقى تجدي ولا العلاج

(بكاؤه على دمشق للقحط الذي أصابها عام ٦٤٣ هـ)

عن ديوانه بوستان

على دمشق أتى القحط لشدته … قد أذهل الصب عن ذكرى الأحباء
ضنت على الأرض بالغيث السماء فما … بلت صدى نخلة أو حلق عجفاء
وما جرى فيض عين بالسفوح وقد … جادت عيون اليتامى عنه بالماء
فكم تثير الشجى آهات أرملة … إذا يثور دخان عند رعناء
وقد تعرت من الأوراق زاهية … أغصانها كسليب وسط بيداء
أما الجراد فلم يترك بروتها … ولا بغوطتها آثار خضراء
وجاء عندي صديق كنت أنكره … جلد على العظم من برح ولأواء
وقد عجبت له إذ كنت أعهده … ذا قوة وأخا جاه ونعماء
سألت ذاك الكريم العرق في لهف … ماذا دهاك أجب تفديك حوبائي
فصاح بي يا عديم الرأي تسألني … وأنت مني أجل أدرى بهذا الداء
ألا ترى كيف جاز القحط غايته … فلم يدع قطرة في در بغرثاء
ولم تجب دعوة لله صاعدة … ولا تنزل غيث غب شكواء
أجبته ما الذي تخشى وفي يدك الـ … ـترياق إن كشرت أنياب رقطاء
وهل على البط في الطوفان من ضرر … والبط مذ كان عوام على الماء
أجابني لا تكن يا ذا الفقيه على … مثلي سفيهاً فلم تأخذ بآرائي
ما راحتي إن أكن بالسيف محتجزاً … والموج ألقى بخلي وسط دأماء
أو كان وجهي لم يصفر من عوز … فغم من أعوزوا قد حز أحشائي
أو لم يصب لي عضو إثر جائحة … فشقوة الناس رضت كل أعضائي
وإن أكن لم يبن جرح على بدني … فإن جرح اليتامى في سويدائي

منغص عيش من يزهو بصحبته إذا هفا من مريض رجع أصداء
وإن بيت بائس طيًّا على سغب فلقمة الخبز سم الموت للرائي
أيهنأ العيش لي في ظل وارفة وصحبتي زمن سجن بين أعدائي

(نزوحه عن دمشق)

اعتراني ملل من صحبة إخواني في دمشق فخرجت هائمًا على وجهي في بادية القدس ، وأنست بصحبة الوحش بعد صحبة الإنس ، ولكني وقعت أسيراً بيد الإفرنج فأصبحت أشتغل بالطين مع اليهود في خندق طرابلس . حتى مر بي أحد رؤساء حلب وكان بيننا سابق معرفة فقال لي ما هذه الحال وكيف صرت إلى هذا المآل فقلت : قطعة

هربت الى الصحراء عن صحبة الورى الى الله لا أبغي سواه أنيسا
تصور بهذا الوقت ما هي حالتي مع البهم في الاصطبل صرت حبيسا

بيت

الرجل في القيد عند الأصدقاء ولا رياضة في جنان بين أعدائي

فرحمني ورق لحالي وافتداني من أسر الفرنجة بعشرة دنانير وأخذني معه الى حلب . وكانت له ابنة فعقد لي نكاحها بمائة دينار مؤجلة وبعد أن بنيت بها ظهر لي أنها سيئة الطبع مجبولة على العناد مخلوعة العنان سليطة اللسان فنغصت علي عيشي وكأنما عناها الراجز بقوله :

سيئة الخلق بدار الخير جهنم من قبل يوم المحشر
حذار من أمثالها حذار وقل : قنا رب عذاب النار

وذات مرة أطالت بي لسانها واستمرت تقول : ألست أنت ذاك الذي اشتراك أبي فأعتقك من قيد الفرنجة بعشرة دنانير فقلت : بلى هو الذي اشتراني بذلك المقدار ولكنه أوقعني بأسر يديك بمائة دينار .

قطعة

رأى سيد كبشاً بأنياب أطلس فخاصه عند الأصيل من الكرب
وعند المسا سمى وأزهق روحه فصاحت وقد طارت الى الله ماذنبي
أيا منقذي من مخلب الذئب رحمة لقد كنت عقبى الأمر أفتك من ذئب

هذا ما أردت ايراده عن هذا الشاعر العظيم في هذه العجالة وبالله التوفيق .

دمشق : محمد الفراتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عود على بدء :

الإمام داود بن ادريس

من خلال الوثائق التاريخية

في البحث الذي قدمته للمؤتمر الثالث للآثار بالبلاد العربية [1] كنت آثرت الحديث عن « اللوحة » التي اكتشفت بالبلاط الأسود في أثناء أعمال الترميم التي جرت بجامع القرويين منذ سنوات ، وقد كانت تحمل اسم داود بن ادريس ، وتاريخ سنة ٢٦٣ . وكنت تساءلت عن مملكة الإمام داود ، وكان قصدي دون ريب من هذا التساؤل هو أن نصل الى إلقاء بعض الضوء على هذه المرحلة « القلقة » من تاريخنا القديم ؛ وبعد هذا كنت نشرت كلمة [2] ثانية أجدد فيها الأسئلة مرة أخرى وأفترض مع هذا « شريطاً » على ضوء الأحداث ؛ وحاولت أن أفهم أن الإمام داود ظل بعد وفاة يحيى الأول مسيطراً على فاس ، لا سيما وقد خسر يحيى الثاني ورقته بها ، ولا سيما أيضاً ودولة خلفه على مجهولة البدء والنهاية ، وأنه ، أي داود ، استمر إماماً الى أن كانت دولة يحيى الثالث

---

(١) مجلة دعوة الحق المغربية عدد يناير ١٩٦٠ ص ٤٥ . فصل من مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية العدد الرابع عشر ١٩٦٠ ص ٦١ ـ ٨٨ .

(٢) مجلة التربية الوطنية المغربية العدد الرابع سنة ١٩٦٠ ص ١٩ ـ ٢٠ . مجلة الفكر التونسية عدد مارس سنة ١٩٦٠ ص ٥٢٠ ـ ٥٢٣ .

الذي اغتيل سنة ٢٩٢ . وكانت هذه مجرد فروض تهدف الى « نبش » دفائن التاريخ في انتظار أن أتوفر على ما يبعث « الحقيقة » من مرقدها . وسرني أن يجد البحث صداه ولو في طائفة جد قليلة ممن يجدون « هواية » في التاريخ ؛ وها نحن أولاء اليوم نقف على بعض المصادر الاخرى ؛ فيها بعض النصوص التاريخية ، وفيها « نقود إدريسية » ، وفيها تعاليق لبعض الأساتذة الأجانب ممن عنوا بالدراسات التاريخية [1] . وأحب بادئ ذي بدء أن أتصفح أمامكم « كتاب البلدان » لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي [2] والمتوفى في أواخر القرن الثالث الهجري ، لقد قال وهو يتحدث ـ أيام شبابه ـ عن ممالك المغرب : « ومن [3] مملكة صالح بن سعيد الحميري يصير الى مملكة بني ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وأول حد ممالكهم بلد يقال له غميرة (؟) بها رجل يقال له عبيد الله ابن عمر بن ادريس ، ثم الى بلد يقال له ملحاص لحانة (؟) عنده يجتمع حاج السوس الأقصى وطنجة ويملكه علي بن عمر بن ادريس ، ثم قلعة صدينة وهو بلد عظيم به محمد بن عمر بن ادريس ، ثم من قلعة صدينة الى النهر العظيم الذي يقال له لمارنة (؟) حصون وعمارات وبلد واسع عليه رجل من ولد داود بن ادريس ، والى نهر يقال له سبو عليه حمزة بن داود بن ادريس بن ادريس ، ثم يدخل الى المدينة العظمى التي يقال لها مدينة افريقيا على النهر العظيم

---

(1) Hespèris 1er trimestre 1934 Tome XV, III fasc I P. 41 — 48

(٢) الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي المجلد الأول ص ٩٠ الطبعة الثانية .

(٣) ص ١٣٧ من كتاب البلدان . طبعة ليدن سنة ١٨٩٠ .

الذي يقال له فاس[١] بها يحيى بن يحيى بن ادريس بن ادريس وهي مدينة جليلة كثيرة العمارة والمنازل (و) ؟ من الجانب الغربي من نهر فاس ، وهو نهر يقال : إنه أعظم من جميع أنهار الأرض عليه ثلاثة ألف (كذا) رحا تطحن للمدينة التي تسمى مدينة أهل الأندلس ينزلها داود بن ادريس ، وكل واحد من يحيى بن يحيى وداود بن ادريس يخالف على صاحبه يدافعه ويحاربه » .

نرى من خلال هذا أن المغرب ما يزال كما عهدناه منذ سنة ٢١٣ إثر وفاة ادريس فهو بين الشرفاء دائماً ، وفي بعض هؤلاء من صار نصيبه الى بنيه ، لكن مع هذا اكتسبنا عناصر جديدة بواسطة هذه النقول فلقد عرفنا أولاً من أولاد عمر بن ادريس محمداً وعبيد الله بالإضافة الى ولده علي الذي فر في وجه « الخوارج[٢] الإباضية » وبالإضافة كذلك الى ادريس والد يحيى الرابع الذي سلب الإمارة سنة ٣٠٩[٣] . وعرفنا ثانياً ان للإمام داود ابن ادريس عقباً تولى زمام الأمر بدوره في بعض الجهات من المغرب ، ومن هذا العقب ولد لم يعطه اليعقوبي اسماً لكن فيه ولداً ثانياً عرف تحت اسم حمزة . وعرفنا ثالثاً وهذا مهم انه في الوقت الذي كان يوجد فيه يحيى بن يحيى على « المدينة العظمى » (يعني عدوة القرويين) في هذا الوقت بالذات كان داود بن ادريس ينزل (مدينة أهل الأندلس) ، وعرفنا أخيراً وهو أيضاً مهم أن كلاً من يحيى ابن يحيى وداود بن إدريس كان يخالف على صاحبه ويناوئه[٤] .

(١) يرى الأستاذ لاوست أن فاس مقلوب عن كلمة ساف تؤدي بالبربرية معنى الوادي (المغرب — عدد اكتوبر ١٩٣٦) .
(٢) القرطاس طبعة الرباط الجزء الأول ص ١١٣ .
(٣) المصدر السابق ص ١١٧ .
(٤) ص ١٢٢ المصدر المذكور .

واكي نلم بسائر النقول نعطف على كتاب « البيان المغرب في أخبار المغرب » لابن عذاري المكتوب سنة ٦٠٢ ، فلقد ذكر[1] أنه لما وُلي الامام يحيى بن محمد بن ادريس وَلّى (أي يحيى هذا) أعمامه وأخواله أعمالاً فولّى حسيناً القبلة من مدينة فاس الى اغمات ، وولى داود المشرق من مدينة فاس : مكناسة وهوارة والمدينة ، وولّى القاسم غربي فاس : لمانة وكتامة ، وتشاغل يحيى عما كان يحق له من سياسة أمره فملك أخوانه أنفسهم واستمالوا القبائل ، وقالوا لهم : إنما نحن أبناء اب واحد ، وقد ترون ما صار اليه أخونا يحيى من إضاعة أمره فقدّمهم البربر على أنفسهم تقديماً كليا . »

وبعد كل هذا هنالك حقيقة أخرى تعتبر من الأهمية بمكان ، وهي « الدرهم » الذي يوجد[2] للإمام داود بن ادريس بالمكتبة الوطنية بباريز .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

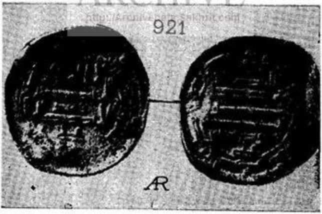

(١) صفحة ٢١١ طبعة هولندة .

(٢) Lavoix, Catalogue des monnaies Musulmanes de la Bibliotèque Nationale Page 69 N. : 921

اقد استطاع أن يحتفظ بجل ما نقش عليه ، وقد كتب على دائرته : « بسم الله ضرب الدرهم بواطيل (؟) سنة ٠٠٠ [1] عشرين ومئتين » ، وفي سطحه وسطاً : « لا إله الا / الله وحده / محمد / لا شريك له / علي » كما يوجد به على شكل هلال : « المنتصر بالله / محمد / رسول / الله / داود بن ادريس / علي » .

فمن خلال هذه الوثائق كلها ، ومن خلال لوحة الأرز التي كشفت عنها أعمال الترميم ، والتي نقشت على عهد الأدارسة أقول من خلال كل هذا يتأكد أن الإمام داود ظل بالفعل ـ كما افترضنا سابقاً ـ مسيطراً في تلك الفترة الغامضة من تاريخنا القديم أو بالحري مسيطراً في بعض منها ، بل اننا الآن أمام وثائق تتضافر وبعضها يثبت أن مملكة داود كانت تشتمل في وقت ما مسافات شاسعة ، وأنها ابتدأت من حيث كانت بادىء الأمر من تازة وهوارة تاسلت [2] أو تامليت [3] ، ثم قصدت تدريجياً وجهة فاس ولأجل أن نتبين بوضوح ينبغي أن نرسم أمامنا شجرة نسب بني إدريس الأولين مقروناً بتاريخ الوفاة المحفوظ حتى نستطيع أن « نحصر » فترة سيطرة الإمام داود « المحتملة » على مدينة فاس :

---

(١) علا الأستاذ دميردان في حديث له حول الموضوع ـ الفراغ الموجود قبل عشرين «بائنتين»
Mélanges d'histoire et d'Archéologie Tome II Page 72

(٢) المغرب في ذكر افريقيا والمغرب البكري ص ١٢٤ .

(٣) ابن عذاري المراكشي الجزء الأول ص ٢٩٩ طبعة بيروت .

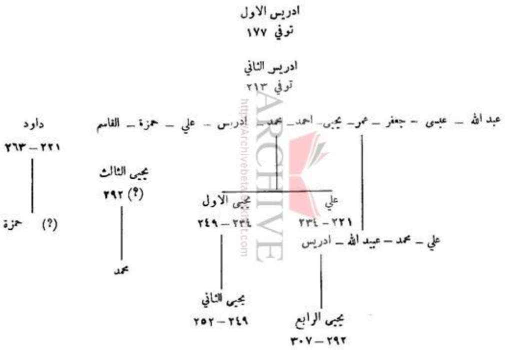

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتضح من كل هذا أن تقسيم المغرب سنة ٢١٣ الذي تجدد بعض الشيء منذ حركة التمرد التي قام بها عيسى بن ادريس حيث اتسعت منطقة عمر بن ادريس - كما هو معلوم - بالاستيلاء على حظ أخويه القاسم وعيسى ، أقول ان ذلك التقسيم لم يكن تقسيماً حقيقياً أي ان السلطة المركزية ظلت في فاس ، وظل « النواب » نوابا بيد انه إثر موت الأخ الأكبر محمد بن ادريس سنة ٢٢١ استأثر كل واحد بامارته على سبيل الاستقلال فيما يظهر ، وبهذا نفسر وجود نقود للمنتصر بالله الإمام داود بن ادريس بتاريخ يتراوح بين ٢٢١ وبين ٢٢٩ ، ثم بعد أن انتصب الإمام يحيى قام من تلقاء نفسه بتقسيم جديد بين أعمامه وأخواله ، وفي صدرهم الإمام داود الذي كان لا يزال على قيد الحياة ، وهكذا اتسعت منطقة داود بن ادريس وشمل المشرق : مشرق مدينة فاس كما جعله يستعين بأحد بنيه على تسيير قلعة صدينة ، وبالآخر - وهو حمزة - على ناحية وادي سبو ، وقد كان داود في هذا الوقت قد استقر بعدوة الأندلس كعاصمة لذلك « المشرق » وصادف الأمر - فيما يلوح - صعود يحيى الثاني للحكم ، في الضفة المقابلة : عدوة القرويين ، وهنا أخذ داود يضايق يحيى بن يحيى على « المدينة العظمى » ونحن نعلم أن يحيى هذا اضطر للانسحاب من الحكم سنة ٢٥٢ [١] على أثر هفوة أو مناورة ، وكان بعده الإمام علي بن عمر الذي لم يستطع مقاومة الخوارج الصفرية فترك لهم عدوة الأندلس وخرج فاراً بنفسه بينما صمدت عدوة القرويين واستقدمت الأمير يحيى بن القاسم ... فن لاذ عمر بأذيال الفرار ؟ ومتى تمكن يحيى بن القاسم من ارضاء رغبة عدوة القرويين ؟ لا يوجد لدينا الى الآن تاريخ ... ثم هل يمكن أن يبقى داود بن ادريس

(١) السلوة المجلد الأول ص ٩١ .

بعدوة الأندلس « باردا » في هذه الفترات ؟ لا بد أن نرجع الى « اللوحة الأثرية » من جديد فهي تحمل اسم داود وتاريخ ٢٦٣ ويمكن أن تضفي بعض الضوء على هذه « العشر سنوات القلقة » ولعل أقرب الفروض يتجلى في أن الإمام داود وجد في سلوك يحيى حفيد أخيه محمد ، كما وجد ـ بعد ـ في ضعف ابن أخيه علي بن عمر ما يبرر اقتحامه لمدينة المغطي عـدوة القرويين حيث ـ فيما يتأكد ـ تبنى عام ٢٦٣ مسجد فاطمة أم البنين . ومن يد الإمام داود تسلم الزمام الأمير يحيى الثالث المقتال سنة ٢٩٢ .

وهكذا يكون الإمام داود دخل في التاريخ منذ سنة ٢١٣ واستمر ـ على الأقل ـ الى سنة ٢٦٣ أي نحواً من خمسين سنة ، فاذا فرضنا أنه كان في عمره يوم أن أصبح طابلاً لإقليم تازة نحواً من عشرين سنة يكون صاحبنا قد عمّر نحواً من سبعين سنة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترى هل تكون هذه هي الكلمة الفاصلة في الموضوع .

عبد الهادي التازي

اسماعيل صبري

ولد عام ١٨٥٤ وتوفي عام ١٩٢٣

شاعر لم يرد لنفسه أن يكون شاعراً ، ولم يتكلف الشعر تكلفاً ، ولم يسع الى زمرة الشعراء سعياً ويقف على أبوابهم ويتمسح بأعتابهم ، إنما كان فناناً موهوباً قد حبته الأقدار بهذه الموهبة فلم يستطع لها رداً ولا منها خلاصاً ، وكان لا يكره شيئاً كما يكره التعمل والتصنع وتكليف الأيام غير طباعها ، ولا يحب شيئاً كما يحب الطبيعة السهلة السلسة التي لا تعرف التعقيد ولا الالتواء ، ومن أجل ذلك لم يتخذ الشعر صناعة إنما اتخذه لوناً من ألوان الراحة النفسية ، والاستجابة لموهبته القاهرة القادرة ، والتعبير عن خلجات قلبه ونبضات شعوره ، وهوايته بامرئ القيس الذي لم يقل الشعر راغباً أو راهباً ، هذا الشاعر هو اسماعيل صبري ، وهو شاعر قاهري ولد في ١٦ فبراير عام ١٨٥٤ ودرس في مدرسة المبتديان ثم بالمدرسة التجهيزية فمدرسة الإدارة ثم ألحق بالبعثة المسافرة الى فرنسا ، ونال شهادة الليسانس في الحقوق من كلية مدينة اكس أفي مايو عام ١٨٧٨ وهو في الرابعة والعشرين من عمره .

وعين عقب عودته من البعثة مساعداً بمحكمة مصر الابتدائية ثم نقل في نفس الوظيفة إلى محكمة المنصورة الابتدائية ثم الى محكمة الاسكندرية الابتدائية المختلطة ، وظل يتدرج في مناصب القضاء حتى عين وكيلاً لمحكمة طنطا الأهلية ، فرئيساً لمحكمة الاسكندرية الأهلية ، فوكيلاً لمحكمة الاستئناف في ٢٧ ديسمبر عام ١٨٩١ ، فنائباً عاماً عام ١٨٩٥ ، وكان يزاول قبل ذلك عمل النائب العام

قبل تعيينه في هذا المنصب عن طريق الانتداب . وفي أول مارس عام ١٨٩٦ عين محافظاً للاسكندرية ، ثم وكيلاً لوزارة الحقانية أو العدل كما نسميها اليوم ، وانتهى به المطاف الى اعتزال الخدمة في ٢٨ فبراير عام ١٩٠٧ وتفرغ لأعماله الخاصة ومزاجه الأدبي حتى انتقل إلى رحمة الله وهو في التاسعة والستين من عمره في ٢١ مارس عام ١٩٢٣ .

شعر الشباب وشعر الشيخوخة :

تلك هي حياة اسماعيل صبري في سطور والملاحظ أنها كانت زاخرة بالعمل والإنتاج بالقياس إلى وظيفته في الخمسين سنة الأولى من حياته . أما السنوات الباقية من عمره فقد قضاها بعد اعتزاله الخدمة ، ومن يقرأ كتابه يلاحظ أن إنشاده للشعر لا يقتصر على فترة دون فترة ولم يكن يمتنع عن قرض الشعر في تلك الأوقات التي شغل بها بمسؤوليات القضاء ومشكلات المتقاضين ، بيد أنه كان ينظمه إذا ما خلا إلى نفسه وأطلق العنان لفكره دون افتعال أو اصطناع ؛ وشعر الشباب يمتاز بعاطفه قوية جياشة أشبه شيء بسيل العرم الذي يجرف أمامه كل شيء ، وشعر الشيخوخة يمتاز بروح التصوف والإيمان والورع والتقى ، وشعر الفترتين صادق ليس فيه كذب ولبس فيه خداع ولا تضليل ، وإنما ينبعث من النفس إلى النفس ويصدر من القلب إلى القلب .

بين صبري والبحتري :

قرأ اسماعيل صبري الشعر للقدماء ولعله تأثر بأبي عبادة البحتري في إحكام الأسلوب ، وصقل الديباجة ، وحلاوة الموسيقى ، وإشراق العبارة ، ويروي الدكتور محمد صبري أن اسماعيل صبري كان مغرماً بقول البحتري :

ولقد تأملت الفراق فلم أجد يوم الفراق على امرئ بطويل
قصرت مسافته على متزود منه لدهر صبابة وعويل

والكن اسماعيل صبري كان يختلف عن البحتري في أشياء كثيرة ، كان البحتري وصافاً من الطراز الأول وكان الوصف عنصراً هاماً من عناصر فنه الشعري ؛ فوصف بركة المتوكل ، ووصف إيوان كسرى ، ووصف الربيع ، وألقى بدلوه في هذا الميدان حتى زخر وامتلأ وفاض ، أما اسماعيل صبري فقد كان مقلاً في وصفه ، ولا نجد في شعره قصائد ينشئها وينشدها في الوصف ، إنما يأتي الوصف عرضاً وقد لا يأتي فهو لا يحفل بأمره ، ولا يأبه بشأنه كهدف من أهداف الفن الشعري ، وهذا لا يمنع وجود بضعة أبيات في ديوانه في الوصف يجود بها كما تجود الصخرة بالماء الزلال كقوله في وصف النيل :

ما أعجب النيل ما أبهى شمائله في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا وإنما هي أرزاق وأرباح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصداقة والأصحاب :

ولعل اسماعيل صبري يشبه في مجال آخر شاعراً آخر ، أما المجال فهو باب الصداقة والصحبة ومعاشرة الناس ورأيه في ذلك جميعاً ، أما الشاعر فهو ابن الرومي ، فاسماعيل صبري كثير الحديث عن طباع البشر وأخلاق الناس ، وتارة تجده منشرح النفس مثلوج الصدر ، وتارة تجده منقبض الأسارير ضيق الخلق ، وهو في حديثه الشعري يعبر عن تجربة صادقة وخبرة واعية وروح عاقلة شأنه في ذلك شأن ابن الرومي بيد أنه لم يكن كابن الرومي يجنح إلى الإطالة وإلى تحليل المعاني وتفصيلها وتقليب وجوهها إنما كان يجود بالبيت أو البيتين

أو المقطوعة القصيرة فإذا هي تضم جماع رأيه وشتيت فكرته لا يلجأ بعدها الى إطالة أو إسهاب . ولعل هذين البيتين يصوران اتجاهه أصدق تصوير فهو يقول :

إذا خانني خل قديم وعقني وفوقت يوماً في مقاتله سهمي
تعرض طيف الود بيني وبينه فكسر سهمي فانثنيت ولم أرم

ومن أروع ما قرأته في التعليق على هذه الأبيات قول المرحوم أنطون الجميل : « في هذين البيتين رواية تمثيلية ذات خمسة فصول مسرحية من خمسة فصول :
الفصل الأول : الصداقة ، والثاني : الخيانة والعقوق (إذا خانني خل قديم وعقني)
والفصل الثالث : النهوض إلى الانتقام (وفوقت يوماً في مقاتله سهمي) .
والفصل الرابع : النزاع بين الصداقة والانتقام (تعرض طيف الود بيني وبينه) .
الفصل الخامس : انتصار الوداد (فكسر سهمي فانثنيت ولم أرم) . . »

وهكذا ضم هذان البيتان عمليات شتى كان في وسع شاعر آخر أن يحللها ويفصلها ويعلق عليها ويستخلص منها بيد أن اسماعيل صبري أراد أن يوجزها في هذين البيتين دون إطالة أو إسهاب وقد أثبت صبري في هذين البيتين مقدرته على امتلاك ناصية بلاغة الإيجاز .

قصة الثعلب والغراب : وترجم اسماعيل صبري قصة الثعلب والغراب عن الشاعر الفرنسي لافونتين ونشرها في ١٧ يناير عام ١٩١٠ وكنا ننتظر بعد هذه الترجمة أو قبلها ترجمات أخرى لقصص لافونتين أو قصائد الفرد دي موسيه أو الفونس ده لامارتين أو الفرد دي فيني أو فرلين أو رامبو أو غيرهم من أعلام الشعر الفرنسي ولكننا لم نجد من ذلك شيئاً بل كنا ننتظر من شاعر عربي سافر إلى فرنسا وقضى هناك نحو أربعة أعوام أن يطلعنا على ثمرة دراسته في الخارج واتصاله

بالهيئات الثقافية الجديدة ولكن دون جدوى ؛ والعجيب أن اسماعيل صبري في حياته الطويلة العريضة التي أوشكت على السبعين لم يخرج لنا ثمار دراسته في الخارج ، ولم يجنح إلى المسرحية الشعرية التي كانت تنتشر في أوروبا وتعرض على المسارح وتطبع في الكتب ، ولم يجنح إلى تطعيم الشعر العربي بألوان متنوعة من الثقافات والأفكار . والعجيب أنه بعد سفره إلى أوربا واتصاله بالحضارة الغربية يعود فيلجأ إلى تشبيه النساء بالظباء ، ولعل أول من ابتدع هذا اللون من التشبيه الشاعر امرؤ القيس ، ولف لفه أعلام الشعر في العصر الجاهلي كالنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى فيقول :

يا ظبية من ظباء الأنس راتعة   بين القصور تعالى الله باريك

هل النعيم سوى يوم أراك به   أو ساعة بتّ أقضيها بناديك

فالمعنى مستهلك ولكن الاستخدام جميل والأسلوب دقيق مثله في ذلك مثل هذين البيتين اللذين نظمهما في شعر الحبيب فلم يأت بمعنى جديد أو فكرة مبتكرة سبق بها غيره من الشعراء إنما كان له فضل الصياغة وحلاوة التركيب

أرسلي الشعر خلف ظهرك ليلاً   واعقديه من فوق رأسك تاجا

أنت في الحالتين بدر نراه   صادعاً آية الدجى وهاجا

ورأى بعض النقاد بعض وجوه الشبه بين قول « مونتي » في موقف عشاق « وما كنت أدري أكان هو أم أنا » وبين قوله :

ولما التقينا قرّب الشوق جهده   شجيين فاضا لوعةً وعتابا

كأن حبيباً في خلال حبيبه   تسرب أثناء العناق وغابا

والواقع أن المعنيين يختلفان رغم ما يبدو فيهما من مشابه ، فونتي لا يستطيع أن يفرق هل هو مونتي أم صاحبه ، أم اسماعيل صبري . فقد أصبح المتعانقان شخصاً واحداً لا اثنين ، وظاهر أن المعنيين متباينان زد على ذلك أن « مونتي »

هذا لم يكن شاعراً ينهج الشعراء على منهاجه أو ينسجون على منواله ، إنما كان كاتباً من كتاب المقال ولم يكن الموضع موضع عناق وإنما موضع اتصال أفكار واقتراح آراء ، ولست أدري ما الشاعرية التي وجدها اسماعيل صبري في «موني» حتى تجاهل «موسيه» وهوجو وبودلير وغيرهم ولم يجد سواه ! إن صدق قول القائلين أنه أخذ هذا المعنى عن «موني» وأظهروا بذلك صلته بالأدب الأوروبي .

اسماعيل صبري والشعر الغنائي :

على أن الشيء الجدير بالتسجيل أن اسماعيل صبري رغم هذه النقدات كان رائداً من رواد الشعر الكبريكي الرفيع في وقت نزع فيه الشعراء إلى الأحاجي والألغاز والتهنئة بمولود أو الوقوف على الأبواب والتمسح بالأعتاب وانتظار الرفد والعطاء ، وإزجاء الفرحة بالترقية ، أو الانتقال من الاسكندرية إلى أسوان أو من أسوان إلى الإسكندرية وغير ذلك من الأغراض التي هي بالعبث أشبه ، وإلى الهزل أدنى وأقرب .

كان اسماعيل صبري زعيماً من زعماء الشعر الغنائي في هذه الفترة ، ومن الشعراء الذين يعكفون على مشاعرهم يصورونها أصدق تصوير ، وعلى قلوبهم فيخرجون ما فيها من مكنونات . كما أنه ساهم في ميدان التأليف الغنائي ـ سواء باللغة العربية أم اللغة العامية ـ ومن أشهر أغانيه «قدك أمير الأغصان» التي غناها عبده الحمولي و (الحلو لما انعطف) التي غناها محمد عثمان ، وفيها يقول :

الحـلو لما انعطف اخجل جميع الغصون

والخد آه ما انأطف ورده بغير العيون !

وكان عبده الحمولي يغني أغانيه وهو لا يزال طالباً ، فيجذب إليه الأنظار ، ولفت إليه عشاق الفن والغناء .

الشعر الفكاهي عند صبري :

وحاول اسماعيل صبري أن ينظم بعض شعره في الملح والفكاهة فقال شعراً تعريضاً باللطمة التي أصابت المويلحي صاحب مصباح الشرق فقال :

قفاك محمد نعم السلاح إذا التف بالعسكر العسكر
وصدغك إن نقر الناقرون عليه يرن ولا يكسر !

وليست هذه الأبيات على حظ كبير من الفكاهة أو البراعة في التصوير كما تصور صبري ، ولا يمكن أن تلحق بفكاهة ابن الرومي ، إذ كان يعمد إلى التصاوير الكاريكاتورية والتعابير الهزلية التي تثير الضحك وتبعث على الفكاهة وتدعو إلى المرح ، كتصوره للأجدب الذي شبهه بالصفوع وهو يتجمع ويتهيأ للصفع ويخشاه . فرسم أمامنا صورة كاريكاتورية ضاحكة تثير الضحك والفكاهة .

معارضات صبري :

وعارض اسماعيل صبري شوقي ، إذ نشرت مجلة الزهور التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ أنطون الجميل أبياتاً ارتجلها شوقي يعارض أبيات أبي الحسن الحصري الضرير المولود في القيروان المتوفى في الأندلس عام ٤٨٨ هـ :

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده ؟
أقريب من دنف غده فالليل تمرد أسوده

فنظم صبري من نفس الوزن والروي ، ولما مات شوقي رثاه بقصيدة من درر شعره جاء فيها :

فاذوب كمصباح السماء كلاكا   مال النهار به وليس بطافي

الشمس تخلف بالنجوم وأنتَ   بالآثار والأخبار والأوصاف

غلب الحيلة فتى يسد مكانها   بالذكر فهو لها بديل وافي !

وله جملة مشهورة في شعر الأقطاب الثلاثة شوقي وحافظ ومطران يقول فيها ، شوقي ينظم وحافظ يبني ومطران يبتدع ، ولما أنشد مطران قصيدته الميمية في حرب طرابلس طرب صبري وكاد يجن بها جنوناً ، وكان ينشد منها هذا البيت :

يقول للعلم الخفاق في يده   فيئيْ من الأرض ما تختار يا علم

وقابل مطران بعد ذلك فقال ، لقد أسكرتني .. إنك فت الشعراء بستمائة عام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكرار المعاني والتصوف :

وفي الوقت الذي نجد فيه اسماعيل صبري يكرر بعض معانيه كتلك الأبيات التي أنشدها عام ١٨٩٣ في رثاء توفيق :

نحن لله ما لحيٍّ بقاء   وقصارى سوى الإله فناء

نحن لله راجعون فمن ما   ت ومن عاش ألف عام سواء

وتلك الأبيات التي نظمها في رثاء الشيخ علي يوسف عام ١٨٩٧ :

هي الدنيا وإن جادت بخيلة   يد الحرمان في يدها المنيلة

سواء من يعيش الألف فيها   ومن أيامه فيهـا القليلة

يجد الباحث لإسماعيل صبري براعة لا تدانى ، ومهارة لا يشق لها غبار في شعر التصوف الذي يصدر عن نفس مؤمنة ، وروح خاشعة متبتلة من خشية الله كقوله :

يا رب أين ترى تقام جهنم   للظالمين غداً وللأشرار
لم يبق عندك في السموات العلا   والأرض شبراً خالياً للنار
يا رب أهلني لفضلك واكفني   شطط العقول وفتنة الأبصار

وهكذا كانت كل حسنة تطغى على كل نقيصة فيه ، حتى أصبح شعره مثلاً رفيعاً للشعر الجيد الرائق الرائع ، وأصبح هو علماً من أعلام الشعر في العصر الحديث ، له أثره وخطره ، وله منزلته المرموقة ، ومكانته الملحوظة في تاريخ الأدب الحديث .

الدكتور جمال الدين الرمادي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاصطلاحات الفلسفية

- ١١ -

التأثير

في اللاتينية	Influentia
في الفرنسية	Influence
في الانكليزية	Influence

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أثر فيه تأثيراً ترك فيه أثراً ، فالأثر ينشأ عن تأثير المؤثر ، والتأثير إما أن يكون مادياً ، كتأثير السموم والأدوية في البدن ، وإما أن يكون نفسياً ، كتأثير الأحوال النفسية بعضها في بعض .

والتأثير عند القدماء هو ما يفيض عن الكواكب من سوائل تؤثر في مصير الناس ، وعند المحدثين هو فعل ظرف ، أو شيء ، أو شخص ، في آخر . وقد يكون هذا التأثير مدرجاً ومتصلاً ، أو يكون غير متصل وغير متدرج . وفي كلا الحالين يشارك المؤثر في التأثير علل أخرى يصعب فرزها عنه .

والتأثير يدل أيضاً على ما لبعض الناس من سلطان على أفكار غيرهم وإراداتهم ، أو على ما لبعضهم من نفوذ في المجتمع . وما ذلك إلا لأن الناس يثقون بصاحب النفوذ ، ويعتمدون عليه ، ويذعنون له .

التـــام

في اللاتينية Completus

في الفرنسية Complet

في الانكليزية Complete

التام ضد الناقص ، تقول : تم الشيء تماً وتماماً وتمامة : كملت أجزاؤه فهو تام . وهو عند الرياضيين العدد الذي مجموع أجزائه مساوٍ له . قال ابن سينا : «التام هو الذي يوجد له جميع ما من شأنه أن يوجد ، والذي ليس شيء مما يمكن أن يوجد له ليس له ، وذلك إما في كمال الوجود ، وإما في القوة الفعلية ، وإما في القوة الانفعالية ، وإما في الكمية» (النجاة ص ٣٦١) .

وقال (ليبنيز) : «يكون التصور تاماً إذا كانت دلالته على الشيء المفرد دقيقة وكاملة ، ويكون غير تام إذا كان مجرداً» .

فالتام إذن هو الذي كملت أجزاؤه ، أو الذي ليس فيه نقص أو عيب ، وعند الحكماء يطلق على الكامل .

التجربة

في اللاتينية Experientia

في الفرنسية Expérience

في الانكليزية Experience,Experiment

لهذا اللفظ عند الفلاسفة معنيان أحدهما عام والآخر خاص .

آ — المعنى العام

١/ التجربة هي الاختبار الذي يوسع الفكر ويغنيه . والمجرِّب هو الذي

جرّبته الأمور وأحكمته . فإن كسرت الراء وجعلته فاعلاً كان معناه : من عرف الأمور وجرّبها . وبهذا المعنى قال المتنبي :

ليت الحوادث باعتني الذي أخذت   مني بحلمي الذي أعطت وتجريبي

٢/التجربة أيضاً هي التغيرات النافعة التي تحصل لملكاتنا ، والمكاسب التي تحصل لنفوسنا بتأثير التمرين ، أو هي التقدم العقلي الذي تكسبنا إياه الحياة .

والتجربة قسمان تجربة الفرد وتجربة النوع ، وهذه الأخيرة هي التي تنتقل الينا بالتربية ، واللغة ، والتقليد ، أو بالوراثة النفسية والفيزيولوجية . ولا يطلق لفظ التجربة إلاّ على التغيرات النافعة . أما التغيرات الأخرى كالنسيان ، وعدم المبالاة ، وفساد الأخلاق فلا تسمّى تجارب .

٣/وفي نظرية المعرفة يطلق لفظ التجربة على المعارف الصحيحة التي يكسبها العقل بتمرين ملكاته المختلفة ، لا باعتبار هذه المعارف داخلة في طبيعة العقل ، بل باعتبارها مستمدة من خارجه . والفلاسفة يفرقون بين التجربة الخارجية (بطريق الإدراك الحسي) ، والتجربة الداخلية (بطريق الشعور) .

ب — المعنى الخاص

١/ التجربة أو التجريب (Expérimentation) هي أن يلاحظ العالم ظواهر الطبيعة في شروط معينة يهيئها بنفسه ويتصرف فيها بإرادته . ففي كل تجربة ملاحظة ، إلا أن الفرق الوحيد بينهما هو أن الملاحظ يشاهد الظاهرة كما هي عليه في الطبيعة ، في حين أن المجرّب يشاهدها في ظروف يهيئها بنفسه . وغايته من ذلك الوصول الى قانون يعلل به حوادث الطبيعة .

وقد اختلف العلماء في حقيقة التجريب ، فقال بعضهم انه مضاد للملاحظة بمعنى انه يقتضي تدخل العالم في حدوث الظاهرة ، في حين أن الملاحظة لا تقتضي ذلك . وقال بعضهم إن من تمام التجريب أن يقصد به تحقيق نظرية أو فرض

أو توليد فكرة ، وليس ذلك من شرط الملاحظة . (راجع استوارت مل Stuart Mill ، كتاب المنطق ، الجزء الثالث ، الفصل السابع : «في الملاحظة والتجربة - De l'observation et de l'expérience » . راجع أيضاً : كلود برنارد Claude Bernard . كتاب المدخل الى الطب التجريبي ، الباب الأول ، الفصل الأول : « في الملاحظة والتجربة ») . وتلخيص ما جاء في كتاب (كلود برنارد) ان التجربة هي الملاحظة المحدثة لتحقيق الفرض أو للإيحاء بالفكرة .

٢/ والتجريبي (Expérimental) نسبة الى التجريب . تقول: الطريقة التجريبية (Méthode expérimentale) أي الطريقة المشتملة على الملاحظة والتصنيف ، والفرض ، والتجريب ، والتحقيق . وتقول أيضاً : العلوم التجريبية (Sciences expérimentales) أي العلوم التي تعتمد على التجريب ، فالطب التجريبي (Médecine expérimentale) مقابل للطب السريري (Clinipue) لأن الأول يعتمد على التجريب ، والثاني على الملاحظة . وعلم النفس التجريبي (Psychologie expérimentale) مقابل لعلم النفس النظري (Rationnelle) أو الاستبطاني (Introspective) .

٣/ والتجربي (Empirique) نسبة الى التجربة ، وله ثلاثة معان :

(آ) التجربي هو الحاصل من التجربة مباشرة دون أن يكون مستنتجاً من قانون أو مبدأ . وهو مقابل للنظمي (Systématique) أو للقيامي . تقول بهذا المعنى: النمط التجربي (Procédé empirique) أوالمداواة التجربية (Médication empiriqne) وتقول أيضاً : هذا الحكم تجربي بمعنى أن عناصره وقواعد عمله تجربية اختبارية .

(ب) التجربي هو المحتاج الى التجربة كعلم الفيزياء ، على عكس الرياضيات التي

لا تحتاج الى التجربة . ولكن التقابل بين الفيزياء والرياضيات لا يصدق على طريقة هذين العلمين إلا في مرحلتها الحاضرة ، ويشبه أن يكون التجربي بهذا المعنى مقابلاً للنظري أو العقلي (Rationnel) .

(ج) التجربي هو الحاصل في أذهاننا من ادراك العالم الخارجي ، لا من مبادئ العقل وقوانينه . مثال ذلك أن ادراك معنى المثلث حدس حسي محض . أما إدراك قطعة الورق المثلثة الشكل فهو إدراك حسي تجربي ، والحدس الحسي المحض لا يحتاج في نظر (كانت) الى غبار التجربة . وقد يسمى الحاصل من العقل قبلياً (a priori) ، والحاصل من التجربة (بعدياً) (a posteriori) .

٤/والتجربية (Empirisme) اسم يطلق على جميع المذاهب الفلسفية التي تنكر وجود أوليات عقلية متقدمة على التجربة ومتميزة عنها . وهذه المذاهب مقابلة من الناحية النفسية للمذهب العقلي (Rationalisme) أو الفطري (Innéisme) القائل باشتمال النفس على مبادئ فطرية مديرة للمعرفة ، ومقابلة من الناحية (الابيستمولوجية) للمذاهب القائلة باشتمال العقل على مبادئ خاصة به مختلفة عن قوانين الأشياء سواء أكانت هذه المبادئ فطرية أم غير فطرية . (راجع كلمة ابيستمولوجيا) .

ويطلق اسم التجربية أيضاً على المذهب القائل ان ادراك الأشكال والمسافات يكتسب بحاسة البصر خلافاً للمذهب القائل ان هذا الإدراك فطري .

٥/والمجرّبات كما يقول ابن سينا : « أمور أوقع التصديق بها الحس بشركة من القياس وذلك انه اذا تكرر في احساسنا وجود شيء لشيء . . . تكرر ذلك منا في الذكر . واذا تكرر منا ذلك في الذكر حدثت لنا منه تجربة بسبب قياس اقترن بالذكر » (النجاة ص ٩٤ — ٩٥) . فالمجربات هي إذن « قضايا وأحكام تتبع مشاهدات منا متكررة » (الاشارات ، ص ٥٦ — ٥٧) .

التجريد

في اللاتينية Abstractio
في الفرنسية Abstraction
في الانكليزية Abstraction

التجريد في اللغة التعرية من الثياب والتشذيب ، تقول جرّد الشيء قشره ، وجرد الجلد نزع شعره ، وجرد السيف من غمده سلّه ، وجرد الكتاب عرّاه من الضبط والزيادات والفواتح .

وله عند علماء العربية عدة معان : منها تجريد اللفظ الدال على المعنى عن بعض معناه ، ومنها عطف الخاص على العام ، ومنها أن 'ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مماثل له في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة (كليات أبي البقاء) ، ومنها مخاطبة الانسان نفسه بحيث ينتزع من نفسه شخصاً آخر مماثلاً له في صفته أو حاله فيخاطبه . والمقصود من التجريد جملة المبالغة في كون الشيء موصوفاً بصفة وبلوغه النهاية فيها بأن ينتزع منه شيء آخر موصوف بتلك الصفة .

والتجريد عند الفلاسفة هو انتزاع النفس عنصراً من عناصر التصور ، والتفاتها اليه وحده دون غيره . مثال ذلك ان العقل يجرد امتداد الجسم عن كتلته ، مع ان هاتين الصفتين لا تنفكان عن الجسم في الوجود الخارجي . ومثال ذلك أيضاً أنني أستطيع أن أجرد محيط الدائرة عن سطحها ، فأنظر الى محيطها تارة والى سطحها أخرى ، مع أن لكل دائرة متصورة في الذهن محيطاً وسطحاً

لا ينفكان عنها . قال (دوغالد استوارت) : التجريد هو تقسيم ما نصيبه من معان مركبة بغية تبسيط الموضوع الذي نتناوله بالبحث . فليس التجريد إذن تقسيماً حقيقياً ، وإنما هو تحليل ذهني . والفرق بينه وبين التحليل ان الفكر ينظر في التحليل الى جميع صفات الشيء على حد سواء ، في حين أنه لا ينظر في التجريد إلاّ الى صفة واحدة من صفات ذلك الشيء .. وقال (لاروميغير ـ Laromiguière) : الحواس آلات تجريد ، فالعين تجرد اللون ، والأذن تجرد الصوت الخ .. ومعنى ذلك أن كل حاسة تنتزع صفة من صفات الجسم وتأخذها أخذاً مجرداً عن الصفات الأخرى . وهاهنا فائدة ، وهي أن إدراك الشيء الخارجي ليس إدراكاً بسيطاً ، وإنما هو عمل إنشائي ، ومعنى ذلك أن إدراك الصفات متقدم على إدراك الشيء ، ونحن إنما نؤلف معنى الشيء من صفاته المدركة بحواسنا إدراكاً مباشراً . وإذا قيل إن إدراك معنى الشيء متقدم على إدراك الصفات ، قلنا : لو صح ذلك لأمكن إبطال تصور الشيء بعزل صفاته بعضها عن بعض . وهذا محال .

والتجريد درجات ، فاذا نظرت الى الورقة التي أمامك ، فانتزعت منها لونها أو شكلها ، كان تجريدك عبارة عن فرز المجتمع في الإدراك الحسي ، وهو أبسط درجات التجريد ، وإذا نظرت الى اللون عامة ، دون أن يكون هذا اللون أحمر أو أزرق ، أو نظرت الى الشكل عامة ، دون أن يكون هذا الشكل مستطيلاً أو مربعاً ، لم تقتصر في ذلك على درجة الفرز أو الفرق بل تجاوزتها الى درجة أعلى منها ، ولا تزال ترتقي من تجريد أدنى الى تجريد أعلى حتى تصل الى تصور المعاني الكلية والمفاهيم العالية . لذلك قال ابن سينا : « إن أصناف التجريد مختلفة ومراتبها متفاوتة » (النجاة ـ ٢٧٥) ، فتارة يكون النزع نزعاً لبعض الصفات ، وتارة يكون نزعاً كاملاً ، فالحس يأخذ الصورة عن المادة دون أن يجردها عن المادة وعن لواحق المادة ، والخيال يبرئ الصورة عن المادة

تبرئة أشد، فيجردها عن المادة دون أن يجردها عن لواحقها ، أما العقل فيأخذ الصورة مجردة عن المادة من كل وجه، فينزعها عن المادة وعن لواحق المادة ويفرزها عن كل كم وكيف وأين ووضع . (ابن سينا : النجاة ص ٢٧٦ — ٢٧٩) (راجع كلمة : مجرد) .

وقولنا : بالتجريد (In Abstracto) مقابل لقولنا بالتشخيص (in Concreto) . فالاستدلال بالتجريد هو أن تستخرج نتائج بعض المبادىء المسلّم بها دون أن تنظر الى تحقق تلك النتائج في الطبيعة ، وقد يكون تحققها غير ممكن حتى لو كانت صحيحة ، لأنه قد يحول دون تحققها في الوجود أمور لم نلاحظها في استدلالنا المجرد .

والتجريد عند المتصوفة هو إماطة السوى والكون عن السر والقلب (تعريفات الجرجاني) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التحقيق

في اللاتينية	Verificare
في الفرنسية	Vérification
في الانكليزية	Verification-Examination

التحقيق عند قدماء الفلاسفة إثبات المسألة بدليلها ، وهو غير التحقق المرادف عندهم للثبوت والكون والوجود .

والتحقيق في الطريقة التجريبية هو كل ما يقوم به العالم من أعمال لامتحان النظرية ، أو هو التصديق أو التوكيد ان عملين مختلفين ينتجان نتيجة واحدة .

والعالم إنما يحقق نظرياته بمقابلتها أو بمقابلة نتائجها بالحوادث ، فاذا قابل نظرياته بالحوادث كان تحقيقه مباشراً ، واذا قابل نتائجها كان تحقيقه غير مباشر .

وما يصدق على العلوم التجريبية يصدق على علم الفلك ، لأن يقين العالم الفلكي بصحة نظرياته لا يتم من تحقيقها بالملاحظات المباشرة . فما من علم إلا وهو في حاجة الى تحقيق مسائله ، سواء في ذلك علم الفيزياء والعلم الرياضي . إلا أن العالم الفيزيائي يحقق نظرياته بالملاحظات والتجارب ، والعالم الرياضي يحقق دساتيره ومعادلاته بتوكيد صدقها على بعض القيم المعينة . مثال ذلك تحقيق المعادلة : (ب + ج) د = ب د + ج د بتوكيد صدقها على الحالة التي يكون فيها (د) مساوياً لواحد . والفرق بين البرهان الرياضي والتحقيق الرياضي أن البرهان يصلح لإثبات النظريات العامة ، في حين أن التحقيق لا يصلح إلا لتوكيد صدق القضية العامة على الحالات الخاصة . انك لا تبرهن على أن الأعداد ٣ ، ٤ ، ٥ أضلاع مثلث قائم الزاوية ، بل تحقق ذلك بتوكيدك أن :

$$٣^٢ + ٤^٢ = ٥^٢$$

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

يضاف الى ذلك أن طريقة التحقيق متبعة في كثير من العلوم كعلم النفس وعلم الاجتماع ، وعلم الحقوق ، والسياسة ، والأخلاق ، وغيرها . لأن خير وسيلة لتحقيق صدق النظريات والآراء والقوانين والقواعد مقابلتها بأفعال الناس وأنماط سلوكهم ، حتى لقد قيل إن الجدل التاريخي نفسه يودي الى تحقيق المذاهب أو الى دحضها وإبطالها .

وإذا كان التحقيق عبارة عن إثبات المسائل بمعارضتها بالشواهد الحسية أو بتوكيد صدق النظريات على الحالات الجزئية ، فان التدقيق عبارة عن إثبات الدليل بالدليل .

والتحقيق عند الصوفية هو ظهور الحق في صور الأسماء الالهية .

التحليل

في اليونانية Analusis

في الفرنسية Analyse

في الانكليزية Analysis

التحليل عكس التركيب ٠ وهو تقسيم الكل إلى أجزائه ٠ فاذا كان الشيء المحلل واقعياً سمي التحليل حقيقياً أو طبيعياً ، واذا كان ذهنياً سمي التحليل خيالياً ٠ فتحليل جسم من الأجسام تحليلاً كيميائياً هو تحليل حقيقي ، لأنه يعزل أجزاء الجسم بعضها عن بعض ٠ أما تحليل سجية بطل من أبطال الروايات ، ووصف عواطفه ومنازعه ، فهو تحليل خيالي ، لأنه يعزل أجزاء الموضوع بعضها عن بعض عزلاً ذهنياً لا غير ٠

وقد يكون التحليل حقيقياً ، ولا يكون مادياً ، كالتحليل النفسي الذي يرجع الوظائف النفسية الى أجزائها وعواملها ٠ فكل تحليل مادي (كالتحليل الكيميائي) تحليل حقيقي ، وليس كل تحليل حقيقي بتحليل مادي ٠

ويقسم التحليل بوجه آخر من القسمة الى تحليل تجريبي (Analyse expérimentale) وتحليل عقلي (Analyse rationnelle) ، فالتحليل التجريبي هو المعول عليه في الطريقة التجريبية بمراحلها المختلفة من ملاحظة وتجربة واستقراء ٠ أما التحليل العقلي أو الرياضي فهو أن تؤلف سلسلة من القضايا أولها القضية المراد إثباتها ، وآخرها القضية المعلومة ، بحيث أنك اذا ذهبت من الأولى (أي القضية المراد إثباتها) الى الآخرة (أي القضية المعلومة) كانت كل قضية نتيجة ضرورية للتي بعدها ، وكانت القضية الأولى نتيجة للقضية الأخيرة وصادقة مثلها ٠

(راجع دوهامل Duhamel : Des méthodes dans les Sciences du raisonnement I - 41)

ومن أمثلة التحليل الرياضي فرض القضية محلولة، أي فرض المعلوم مجهولاً والمجهول معلوماً . (راجع ديكارت : Descartes : مقالة الطريقة : (Discours de la méthode II. 6)

ومن أمثلته أيضاً : إثبات القضية بإبطال نقيضها، كبرهان علماء الهندسة على أن المستقيم الخارجي يكون موازياً للسطح إذا كان موازياً لمستقيم واقع عليه، لأنه لو كان قاطعاً للسطح لكان قاطعاً لموازيه الذي فرضناه واقعاً عليه . والمنطقيون يسمون إثبات المطلوب بإبطال نقيضه خلفاً .

والتحليل عند علماء الرياضيات المعاصرين مرادف للجبر العالي، أو لحساب اللانهايات (Calcul infintésimal)

وفرقوا بين التحليل والتقسيم (Division) فقالوا ان التحليل هو عزل أجزاء الشيء بعضها عن بعض، أما التقسيم فهو تفريق الشيء أقساماً غير معينة . والفرق بين الأمرين ظاهر لأن أجزاء الشيء أبسط من الشيء، أما أقسامه فمركبة مثله .

والتحليل عند (أرسطو) مرادف للمنطق الصوري، وكتابا التحليلات الأولى (Premiers analytiques)، والتحليلات الثانية : (Seconds analytiques) يؤلفان الجزء الثاني من الأورغانون (Organon) .

والتحليل المتعالي (Analytique transcendentale) عند (كانت) هو علم الصور القبلية التي يتألف منها العقل، وهو يقوم على تحليل ملكة العرفان للكشف عن المبادئ والمفاهيم القبلية التي تجعل المعرفة (التجربة) ممكنة .

والتحليلي (Analytique) نسبة الى التحليل، والحكم التحليلي (Jugement analytique) عند كانت هو القضية الحملية التي يكون فيها المحمول داخلاً في تضمن الموضوع خلافاً للحكم التركيبي (Jugement synthétique) الذي يكون فيه المحمول مضافاً على مقومات الموضوع . فقولك الأجسام ممتدة

حكم تحليلي ، لأن الامتداد داخل في تضمن الجسم ، وقولك الأجسام ذات ثقل حكم تركيبي لأن الثقل مضاف على مقومات الجسم . ومن صفة الأحكام التركيبية أن تبنى على التجربة إلا أن (كانت) تكلم في كتاب العقل المحض على أحكام تركيبية قبلية (Jugements synthétiques a priori) .

والهندسة التحليلية (Géomètrie analytique) علم يعبر عن الأشكال والخواص الهندسية بالمعادلات الجبرية (ديكارت) ، خلافاً للهندسة التركيبية التي تعتمد على الحدس في أحكامها .

والعقل التحليلي (Esprit d'analyse) عند علماء النفس هو العقل الذي يفطن لأجزاء الشيء خلافاً للعقل التركيبي (Esprit de synthèse) الذي يفطن لمجموع الشيء دون أجزائه . ومن تمام العقل التحليلي اتصافه بالنفوذ والتعمق والفطانة والإحاطة بأطراف الشيء والتدقيق في ملاحظة الحوادث ، وهي كلها صفات ضرورية للكشف عن أجزاء الشيء وتخليصها من التعقد والاشتباك . ومن تمام العقل التركيبي إحكامه النظر في الأمور المجردة ، وميله الى التوحيد والتنظيم والربط المنطقي . فالعقل العلمي عقل تحليلي ، والعقل الفلسفي عقل تركيبي .

واللغة التي تفصل الفكرة الأساسية عن لواحقها فتعبر عن هذه اللواحق بألفاظ متميزة ترتبها في نظام منطقي محدد تسمى لغة تحليلية ، واللغة التي تستعمل لفظاً مجرداً واحداً للدلالة على عدة معان ، فتتبدل فيها دلالة اللفظ بتبدل الاشتقاق ، تسمى لغة تركيبية . لذلك كانت اللغات المشتملة على الإعراب أكثر تركيباً من اللغات المعتمدة على حروف المعاني ، ولذلك أيضاً كان التصريف بالأفعال المساعدة أكثر تحليلاً من التصريف بالمزيدات .

جميل صليبا

نصير الدين الطوسي

الحكيم الرياضي الفلكي

هو محمد بن محمد بن الحسن المتوفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة ببغداد ، والمدفون بمشهد الامام الكاظم موسى بن جعفر الصادق الذي تنكر إمامته الاسماعيلية الآغاخانية والبهرة ويرونها منحصرة في اسماعيل أو ولده محمد الحبيب ، وضريح النصير من مزارات الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، بعد زيارة الإمام الكاظم وفي هذا دلالة لا تقبل الرد على أنه من رجالاتهم ومصنفاته في المذهب الإمامي سواء أكان في أصول عقائدهم أم في فروعها من الكلام والفقه الإمامي بالغة حد الاشتهار كتصانيفه في العلوم الفلسفية والرياضية والفلكية .

ومن تلامذته في هذه العلوم الشيخ جمال الدين ابو منصور ، الحسن بن سديد الدين ، يوسف بن علي بن المطهر الحلي المعروف بين الإمامية بلقب العلامة ، وقد انتهت اليه رئاستهم في المعقول والمنقول ، والفروع والأصول ، وأستاذه النصير في العلوم العقلية هو تلميذه في الفقه ، وكانت وفاته سنة ست وعشرين وسبعمائة قبل وفاة معاصره العلامة ابن تيمية بسنتين ، وكانت بينهما مناظرات كتابية ، وكتابا النصير قواعد العقائد وشارحه العلامة الحلي المطبوع في ايران وتلخيص المحصل للامام فخر الدين الرازي المطبوع في مصر ، وكلاهما في علم الكلام صريحان كل الصراحة بامامية الاثني عشرية .

ترجم له علماء الإمامية من معاصريه والمتأخرين عنه في كتبهم الرجالية ترجمات حفيلة ، كما ترجم له الكتبي في كتابه فوات الوفيات ولم ينسبه أحد منهم إلى الاسماعيلية ، ويقول تلميذه العلامة في إجازة له عند ذكره :

كان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية له مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية والأحكام الشرعية على مذهب الإمامية .

وقد اجتمع بالحلة بالإمام المحقق الأول الشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن رئيس علماء الإمامية في عصره وحضر دروسه في علوم الشريعة وناقشه في بعض الفروع من علم الفقه ، وبعد فان اماميته وكونه من الاثني عشرية بما لا مجال للريب فيه .

وأما صلته بزعيم الاسماعيلية ركن الدين في حصن (ريز) في بلدة تون من بلاد قهستان بخراسان فانها كانت بطريق الاعتقال والاكراه للاستفادة من علومه وفنونه ، وأفرج عنه هولاكو وصحبه كما صحب ركن الدين الزعيم الاسماعيلي بعد تدويخه البلاد الايرانية واستيلائه على قلاع الدعوة الى العراق غازياً لبغداد ، وهو مكره على هذه الصحبة كما كان مكرهاً من ركن الدين على المقام معه في قلعته برتبة الوزير والمشير ، وكان له من هولاكو مثل هذه الرتبة ، وذكره في العلم والفضل وأصالة الرأي والتدبير ملء الأسماع والأصقاع ، وشهرته هذه الى شهرته بالعلوم الفلكية التي يراها هولاكو وأمة المغول من وسائل معرفة السعد والنحس كل أولئك مما حبب اليه استيزاره وصحبته الى بغداد .

أما ما كان للنصير من أثر مبرور وعمل مشكور في هذه الصحبة بإنقاذ من أنقذه من سيف هذا الظالم من المسلمين على اختلاف مللهم فقد بلغ عشرات الألوف وما استبقى عليه من الثروة العلمية وكتبها المعرضة للحريق والغرق فقد بلغت مئات الألوف وأما ما خدم به علم الأفلاك فحسبه ابتناؤه قبة ورصداً عظيماً في مراغة ، وقد ولاه هولاكو جميع الأوقاف في سائر بلاده ، وكان له في كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمل اليه ليصرفه في جامكيات (رواتب) المقيمين بالرصد ولما يحتاج اليه من الأعمال بسبب

الارصاد وكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم ٠ قال شمس الدين الحريري : قال حسن بن احمد الحكيم : سافرت الى مراغة وتفرجت في الرصد ومتوليه علي بن الخواجا نصير الدين الطوسي وكان شاباً فاضلاً في التنجيم وصادفت شمس الدين بن المؤيد العرضي وشمس الدين الشرواني ٠ والشيخ كمال الدين الايكي ٠ وحسام الدين الشامي فرأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً منها ذات الحلق وهي خمس دوائر متخذة من نحاس الأولى دائرة نصف النهار وهي مركوزة على الأرض ٠ ودائرة معدل النهار ٠ ودائرة منطقة البروج ٠ ودائرة العرض ٠ ودائرة الميل ٠ ورأيت الدائرة الشمسية التي يعرف بها سمت الكواكب ٠

وأخبرني شمس الدين العرضي ان نصير الدين أخذ من هولاكو بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله تعالى خارجاً عن الجوامك (الرواتب) التي للحكماء والقومة ٠ وقال نصير الدين في الزيج الايلخاني(١) : إنني جمعت لبناء الرصد جماعة من الحكماء ٠ منهم المؤيد العرضي من دمشق ٠ والفخر المراغي كان بالموصل ٠ والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس ٠ والنجم دبيران القزويني الى كلام طويل في العناية بهذا الرصد لخصنا منه هذه الجملة من فوات الوفيات فأنت ترى من هذا العرض القليل من مآثر النصير التي ما كان يتوقع تحقيق جزء منها لولا صحبته واستيزاره لهولاكو اللذان كانا للمسلمين رحمة لا نقمة وخيراً لا شرا ٠

وان من العجيب أن نرى الإمام العلامة ابن تيمية وهو معاصره وممن لا يتعذر عليه تمحيص الحقائق فلا يبخسه حقه وما له من بلاء جميل بخدمة

---

(١) صوابه الايلخاني نسبة الى (ايلخان) احدى دول سلالات جنكيز خان كما يفهم من قاموس الأعلام لشمس الدين سامي . (لجنة المجلة)

الإسلام والمسلمين مما عرضنا منه الى جزء من كل ووشل من بحر في تلك الفترة التي تكثر فيها الأقاويل وتقام سوق الأضاليل فيقول فيه في رسالته الرد على النصيرية :

« ثم ان التتار ما دخلوا بلاد الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيرهم من ملوك المسلمين إلاّ بمعاونتهم ومؤازرتهم فإن مرجع هؤلاء الذين كان وزيرهم وهو النصير الطوسي كان وزيراً لهم بالألموت ، وهو الذي أمر بقتل الخليفة » .

فالنصير على قوله نصيري واسماعيلي ويا بعد ما بين النصيرية والاسماعيلية وهو لا من النصيرية ولا من الاسماعيلية وإنما هو إمامي اثنا عشري .

هذا ومن يقابل ما عزاه الامام ابن تيمية الى النصير مما يأباه له فضله وحكمته ودينه وعقيدته الإمامية التي ليس من أصولها وفروعها استحلال دماء المسلمين مهما تكن مذاهبهم ومعتقداتهم بما كتبه العلامة محمد بن شاكر بن احمد الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ قبل وفاة النصير بثمان سنين بكتابه (فوات الوفيات) يجد أن الكتبي ، وقد تأخر عصره عن عصر ابن تيمية ستاً وثلاثين سنة ، كان ما كتبه وقد سكنت العاصفة وأصبح تسجيل حوادث سقوط بغداد والقضاء على الخلافة العباسية وأسبابها وملابساتها وتمحيص حقائقها في ذمة التاريخ هو المعقول وهو الأحق بالاتباع وببراءة النصير مما عزي اليه وهو مما لم يعرض له الكتبي بقليل أو كثير .

ان النصير فوق الشبهات ، وهو الذي راض نفسه بالدين المتين والحكمة العالية وبالخلق الكريم الذي يكفي بالتدليل عليه ما أورده الكتبي في فوات الوفيات ، قال : ومما وقف له عليه أن ورقة حضرت اليه من شخص من جملة ما فيها : يا كلب ابن الكلب فكان الجواب . أما قوله : يا كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار وأما أنا فمنتصب القامة

بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص . وأطال في نقض ما قاله . هكذا رد عليه بحسن طوية وتأن غير منزعج ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة .

أترى مثل هذا الحكيم ـ في تدينه ووفور عقله ورباطة جأشه وبعد نظره والخلال الفاضلة المجتمعات به التي اطمأن بها الى الوثوق به الزعيم الاسماعيلي وهولاكو وكلاهما اختاره وزيراً ومشيراً مع تباعد ما بينهم من العقيدة والمنازع ـ يرتكب جريمة لا يجهل مصايرها وما ستجر اليه من المآسي والأسواء سواء فيها المسلم السني والشيعي وكلاهما وقود نارها بل الإسلام عينه مستهدف لنبالها ونصالها والتصير عليهم بأن الخلافة العباسية مهما كان للابس بردتها والمالك لحوزتها من هنات هي رمز للجامعة الإسلامية وعدلة لقوى الإسلام لا جرم أن التصير ليس من المعقول أن يسف هذا الإسفاف فيرتكب مثل هذه الجناية ؟ ؟

وإنا لنرى لزاماً علينا استيفاء لهذا البحث واستجلاء للحقيقة أن نعرض الى الأسباب الواقعية التي أدت الى نكبة الإسلام والمسلمين بسقوط الخلافة العباسية على يد ذلك الغازي الظالم ملخصة من كلمات المؤرخين الثقات الذين عنوا بتدوين أخبارها . وتسجيل دوافعها وحوافزها فمنهم الفخري قال : كان المستعصم آخر الخلفاء شديد الكلف باللهو واللعب وسماع الأغاني لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة . وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم واللذات لا يراعون له صلاحا .

ومما اشتهر عنه أنه كتب الى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوي الطرب . وفي تلك الحال وصل رسول السلطان هولاكو يطلب منجنيقات وآلات الحصار . فقال بدر الدين : انظروا الى المطلوبين وابكوا على الإسلام وأهله .

ويقول في مكان آخر : كان مستضعف الرأي ضعيف البطش . قليل الخبرة بأمور المملكة . مطموعاً فيه . غير مهيب في النفوس . ولا مطلع على حقائق الأمور وكان زمانه ينقضي أكثره بسماع الأغاني . والتفرج على المساخرة . وفي بعض الأوقات يجلس بخزانة الكتب ليس فيه كبير فائدة . وكان أصحابه مستولين عليه وكلهم جهال من أرذال العوام . إلا وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمي فإنه كان من أعيان الناس وعقلاء الرجال . وكان مكفوف اليد . مردود القول يترقب العزل والقبض صباح مساء . وكانت عادة الخلفاء أن يحبسوا أولادهم وأقاربهم وبذلك جرت سنتهم الى آخر أيام المستنصر . فلما ولي المستعصم أطلق أولاده الثلاثة ولم يحبسهم وهم الأمير الكبير أبو العباس أحمد . والعامة تسميه أبا بكر وليس بصحيح ، وانما سموه بذلك لأنه لما نهب الكرخ نسب الأمر اليه وقيل : إنه هو الذي أشار بذلك .

ويقول أبو الفداء : وكان عسكر بغداد بلغ مائة ألف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل الى التتر متحصل اقطاعاتهم . وصار عسكر بغداد دون عشرين الف فارس .

وجرت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد على جاري عادتهم فأمر أبو بكر ابن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش .

ويقول ابن شاكر في كتابه فوات الوفيات في ترجمته : وكان (المستعصم) متديناً متمسكاً بمذهب أهل السنة والجماعة على ما كان عليه والده وجده رحمهم الله تعالى ولم يكن على ما كانوا عليه من التيقظ والهمة بل كان قليل المعرفة والتدبير والتيقظ . نازل الهمة . محباً للمال . مهملاً للأمور يتكل فيها على غيره . ولو لم يكن فيه إلا ما فعله مع الملك الناصر داود في أمر الوديعة لكفاه ذلك

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عاراً وشناراً والله لو كان الناصر من بعض الشعراء وقد قصده وتردد عليه على بعد المسافة ومدحه بعدة قصائد كان يتعين عليه أن ينعم عليه بقريب من قيمة ودبعته من ماله فقد كان في أجداد المستعصم بالله من استفاد منه آحاد الشعراء أكثر من ذلك الى غير ذلك من الأمور التي كانت تصدر عنه مما لا يناسب منصب الخلافة ولم تتخلق بها الخلفاء قبله فكانت هـذه الأسباب كلها مقدمات لما أراد الله تعالى بالخليفة والعراق وأهله واذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه .

وبعد فقد كان حافزاً لنا الى هذا البحث كلمة وردت في مقال البحاثة الأستاذ عباس العزاوي القيم (تاريخ علم الفلك في العراق) (العلاقات بايران) في الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين يعزو فيها النصير الطوسي الى الفرقة الاسماعيلية وكأنه تابع ابن تيمية في ذلك والنصير من أقطاب علماء الامامية كما أوضحناه وللكاتب الشكر على تنبيهنا بمقاله المحتج على دفع تلك الشبهة ودحض ما حام حول النصير من التهم في سقوط الخلافة العباسية وهو منها بريء والحق أحق بالاتباع .

سليمان ظاهر

كتاب الإتباع

تأليف

الإمام العلامة حجة العرب

أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي

المتوفى سنة ٣٥١هـ

- ٢ -

بابُ التَّوكيدِ الَّذي أوَّلُهُ الباء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يُقالُ : فرٌ ولهُ كَصِيصٌ وأَصِيصٌ وبَصِيصٌ من الفزَعِ ، وكلُّهُ بمعنى الصَّوتِ الضَّعيفِ [1] ؛

ويُقال : إنَّهُ لَغَضٌّ بَضٌّ ، وغَاضٌّ باضٌّ ، وهِيَ الغَضاضَة والبَضاضَة ، قالَ أبو زَيْدٍ : والبَضاضَةُ رِقَّةُ البَشرَةِ ، وقالَ

(١) وجاء في اللسان لابن منظور (كمص) : الكصيص الصوت عامة ، وقيل : الانقباض من الفَرَق ، كصَّ يكِصُّ كصّاً وكصيصًا ، ـــ

الأصمعيّ: هِيَ رِقّةُ البَشَرَةِ والبياضُ؛ وقالَ أبو زَيْدٍ: قد يكون الاسمُ بَضًّا (١)،

ويُقالُ: إنّهُ لَسَرٌّ بَرٌّ، وسَارٌّ بارٌّ، وإنّهم لَسارُّونَ بارُّونَ، وسَرُّونَ بَرُّونَ (٢)، قال الشّاعِر:

١٢ إخوةٌ ما عَلِمْتُ سَرُّونَ بَرُّو نَ فَإِنْ غِبْتُ فالذِّئابُ الجِياعُ

ويُقالُ: إنّهُ لحائِرٌ بائِرٌ، ومَعناهُ هالِكٌ، وقَدْ بارَ يَبُورُ إذَا هَلكَ، ويُقالُ رَجُلٌ بُورٌ وقَومٌ بُورٌ أيضًا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ــ وكصكصَ، أبو عبيد: أفلتَ وله كصيصٌ وأصيص وبَصيص، وهو الرّعدة، وقيل: هو الصوت الرقيق الضعيف عند الفرق ونحوه؛ أو التحرك والالتواء من الجهد والشدائد، وأنشد ابن بَرّي لامرىء القيس:

(جنادُبها صَرعَى لمن كصيصُ)

(١) وفي ل (غضض): الغَضُّ والغضيضُ الطّرِيّ، ويقال: شيء غَضٌّ بَضٌّ، وغاضٌّ باضٌّ، والغَضّة من النساء: الرقيقة الجلد الظاهرةُ الدّم، وقد غَضّت تَغِضُّ غَضاضة وغُضوضة، وقال ابن بَرّي وقد قالوا: بضٌّ بَيّن البَضاضة والبُضوضة، وأصل البضّ الرشح. قال الراجز:

(على جلدها بَضّت مدارجُه دَما)

(٢) اللّحيانيّ: وامرأة سَرّةٌ بَرّةٌ تَسرُّك.

أيْ هالِكونَ (١) قال الشّاعِرُ (٢) :

١٣ يا رَسُولَ المَليكِ إنَّ لِسَاني   رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ

يريد : إذ أنا كافِرٌ هالِكٌ ،

وَقالوا : هُوَ في حِلّ وَبِلّ ، فالبِلُّ المُباحُ بلغةِ حِمْيَر ، وفي الحديث « إنّي لا أُحِلها لِمُغْتَسِلٍ ، وهيَ لِشارِبٍ حِلٌّ وبِلٌّ » يَعني بِئْرَ زَمْزَمَ (٣) ،

---

(١) وفي ل (حير) : ورجل حائر بائر أي متحير في أمره لا يدري كيف يهتدي فيه .

(١) عبد الله بن الزّبعرى السّهمي ، وفي الروض الأنف للسهيليّ (٢ / ٢٧٩) ترى على الهامش من سيرة ابن هشام سبب قول الشاعر لهذا البيت حين أسلم ، ومن شعره بعده :

(آمن اللحم والعظام لربّي   ثم قلبي الشهيدُ أنتَ النذيرُ)

وقال السهيلي في شرح الشاهد ، (فتقتُ) يعني في الدين ، فكل إثم فتق وكل توبة رتق ؛ و (إذ أنا بور) أي هالك ، والشاهد في ل (بور) و ج ١/٢٧٧ و ٣/٢٠٣ ومخ ٣/٤٨ و ١٤/٣٣ و ١٧/٣٠ والمقاييس ١/٣١٦ ، وامالي القالي ٢/٢١٣ والسمط ٣٨٨ و ٨٣٣ ، والشريشي ٢/٣١٨ .

(٣) وفي المزهـــر ٢/٤١٥ البابي) : ومن ذلك قول العباس في زمزم : هي لشاربٍ حلٌ وبِلٌ ، فيقال انه إتباع وليس هو عندي كذلك لمكان الواو (الكسائي) ، وأخبرني الأصمعيّ عن المعتمر ابن سليمان أنه قال : (بِلٌ) هو مباح بلغة حمير ، قال : ويقال : (بلٌ) شفاء من قولهم : بلّ الرجل من مرضه وأبَلّ اذا برأ : انتهى كلام أبي عيدة (أي في غريب الحديث) اهـ .

ويُدعَى للرَّجلِ فيقال: حَيَّاكَ اللهُ وبَيَّاك! قال الاصمعيُّ: (بَيَّاكَ) أضحكَكَ؛ وقالَ أبو عُبَيْدَةَ: بَيَّاك: مَلَّكَكَ، وقالَ أبوزَيدٍ وابنُ الأعرابيّ يُقال: اعتمدكَ بالتحيةِ، ومنه قولُ الرَّاجزِ[1]:

١٤ لَمَّا تَبَيَّيْنا أخا تَميمِ
أعطَى عطاءَ اللَّحِزِ اللئيمِ

أيْ تَعَمَّدنا، وقالَ الآخَرُ[2]:

١٥ باتَتْ تَبَيَّا حَوْضَها عُكوفا

(١) أنشده ابن الأعرابيّ شاهداً على أن معنى (بَيَّاك) قصدك واعتمدك بالملك والتحية من تبَيَّيتُ الشيء: تعمَّدته، و (اللحز): البخيل الشحيح الذي لايكاد يعطي شيئاً، ويروى (لمّا نزلنا بأبي تميم) وتراه في ل (بيّ) ومجالس ثعلب ٥٢٣ وتهذيب الألفاظ ٥٨٥.

(٢) هو أبو محمد الفقعسيّ، كما جاء في ل (بيي)، وفي تهذيب الألفاظ (ص ٥٨٥) شطر رابع: (ثم تقول أعطني التشريفا) وصف بهذا الرجز الابل وذكر أنها تقصد الحوض لتشرب، وشبهها بالصفوف من الناس التي تلقى مثلها، وقوله (وأنتِ) يعني امرأته: أي لاتعينيني على عمل شيء مما أحتاج اليه ثم تريدين مني أن أمدحك من غير استحقاق و (التشريف) ذكرها بالجميل: ويقال ما أغنى عني فوفا: أي شيئاً. انتهى شرح الخطيب التبريزيّ وترى الشاهد أيضاً في التاج (بيي) والمخصص ١٢ / ١٨٩، وشرح ادب الكاتب للجواليقي ١٥٤ والاقتضاب ٣٠٩ واصلاح المنطق ٤٢٩

مثلَ الصُّفُوفِ لاقتِ الصُّفُوفا
وأنتِ لا تُغنينَ عنِّي فُوفَا

وقال ابن مَالِكٍ : بَيَّاكَ : أيْ قَرَّبَكَ ، قال الرّاجزُ [١] :

١٦ بَيًّا لهمْ إذْ نزلوا الطَّعامَـا
الكِبْدَ والمِلْحاءَ والسَّنامَا

وقالَ قومٌ : بَيَّاكَ أيْ عَرَّفَكَ ، وقالَ الفَرّاءُ مَعناهُ : بَوّأكَ منزلاً في الجنةِ [٢] ، وهذا أضعفُ الأقوالِ .

ويُقالُ : شَكَوْتُ إليهِ عُجَرِي وبُجَرِي أيْ هُمومي وأحزانِي [٣] ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) أنشده أبو مالك عمرو بن كِركرة النميري صاحب النوادر ، وهو في ل (بيي) ، و (الملحاء) هنا : لحم مستبطن الصلب من الكاهل إلى العجز .

(٢) وفي ل (بيي) : وقال الاحمر (خلف) : بيّاك الله ، معناه : بَوّأك منزلاً ؛ إلا أنها لما جاءت مع (حيّاك) تُركت همزتها وحُوّلت واوها ياءً : أي أسكنك منزلاً في الجنة وهيّأك له . قال سلمة بن عاصم : حكيت للفرّاء قول خلف فقال : ما أحسنَ ماقال ! وقيل : يقال (بَيّاك) لازدواج الكلام .

(٣) ابن الاعرابيّ : إذا كانت في السُّرّة نفخة فهي (بُجْرَة) ، واذا كانت في الظهر فهي (عُجْرة) ثم يُنقلان إلى الهموم والاحزان .

ومنهُ قولُ عَليّ عليه السلام [1] : أشكو إلى اللهِ عُجَري وبُجَري ، يريد : هُمومي وأحزَاني وما ألْقَى مِنَ النّاسِ ، وكُلُّ عُقْدَةٍ في عظْمٍ أو خَشَبَةٍ فهي عُجْرَةٌ ، وكُلُّ عُقْدَةٍ في لَحْمٍ أو جِلْدٍ فهي بُجْرَةٌ ، والجميعُ العُجَرُ والبُجَرُ ، ويُقالُ : عَصًى عَجْراءُ : إذَا كانتْ ذاتَ عُجَرٍ ،

وقَالُوا : عَينٌ حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ : أيْ عَضيمةٌ ، والبَدْرة الكَامِلة التامة ، ومنه سُمِّي البدر لتَمامِهِ ، والبَدرةُ لتمامها وكَمالِها عشرةَ آلاف [2] ويُنْشَدُ [3] :

١٧ وعَينٌ لها حَدْرةٌ بَدْرةٌ شُقّتْ مَآقِيهِما من أُخُرْ

http://archivebeta.sakhrit.com

---

(١) روي عنه أنه طاف ليلةَ وقعة الجمل على القتلى مع مولاه قنبر فوقف على طلحة بن عبد الله وهو صريع فبكى ثم قال : عزّ عليّ أبا محمد أن أراك معفّراً تحت نجوم السماء ، إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري ! ولها معنى آخر : أي ما أبدي وأخفي .

(٢) وجاء في ل (حدر) : وعين (حَدرة بدرة) ؛ وقال الأزهري عن الأصمعي : أمّا قولهم (عين حدرة) فمعناه مكتنزة صلبة و (بدرة) بالنظر ، وقيل : يبادر نظرها نظرَ الخيل .

(٣) امرؤ القيس بن حجر، والشاهد في ديوانه ص ٥٦ (السندوبي ١٣٤٩ﻫ) في وصف فرسه ، وزعم بعض الرواة ان القصيدة التي منها هذا البيت ليست له وأنها لبعض النمريّين والشاهد في ل (بدر ، اخرم) والجمهرة ٢ / ١٢٠ والمخصص ٢/٥ و ١٦/ ١٨٥ وشعراء النصرانية أو الجاهلية ٤٤ وأمالي ابن الشجري ١٠٦/١ و ٢٢٤ والضرائر ٩ و ٩٣ .

وَيُقالُ : وَرَاهُ اللهُ وَبرَاهُ ، فمعنى بَراهُ أيْ أضْناهُ [١] قال امْرُؤُ القَيْس [٢] :

١٨ فَقالتْ: بَراكَ اللهُ إنّكَ فاضِحي ألستَ تَرى السُّمّارَ والناسَ أحوالي

وُيقالُ : ماذقت عَلُوسًا ولا بَلوسًا : أيْ ما ذقت شيئاً [٣]

---

(١) وفي اللسان (ورى) : ووَرَيْتُه وَرياً : أصبت رئته ، والرئة محذوفة من وَرَى ، والوارية داء يأخذ في الرئة ، يأخذ منه السُّعال فيقتل صاحبه .

(٢) الديوان (السندوبي ص ١٠٨) ويروى فيه : (فقالت سباك الله . . .) وهي رواية ابن السكيت في تهذيب الالفاظ ٥٧٦ . وذكر شيخنا أبو الطيب في باب الدّال والذال من كتابه الابدال (١ / ٣٥٣) : « ماذاق عَدوفاً ولا عَذوفا » ومثل هذه الألفاظ التي لاتجيء بغير النفي قد يلتبس فيها الأمر : أهي من الابدال أم الاتباع ، وذلك بحسب الاعتبار للمعنى ، لا بالنظر إلى واو العطف كما بيّناه ، وقالوا من باب النفي في الطعام هذا : ماذقت علوساً ولا ألوساً أو لؤوساً ، ولا ذَواقاً ولا لَواقاً ، أو لماقاً ، أو لماكاً أو لماجاً ، ونحو ذلك مما ذُكر في تهذيب الألفاظ ص ٢٧١ .

(٣) وجاء في ل (دوك) : الدّوك الاختلاط ، وقع القوم في دَوكة ودُوكة وبوح : أي وقعوا في اختلاط من أمرهم وخصومة وشر ، وفي ترجمة (بوك) منه : وباكَ القومُ رأيهم بَوكاً : اختلط عليهم فلم يجدوا له مخرجاً ، وباك أمرُهم بَوكاً : اختلط عليهم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقالَ ابن الأعرابيّ يُقالُ : وَقَعَ القوم في دَوْكَةٍ وبَوْكَةٍ : أيْ في اختلاطٍ وشَرٍّ ؛

ويُقالُ في الدُّعاءِ علَى الإنسانِ[1] جُوعاً لهُ وجُوساً وبُوساً !

★ ★ ★

بابُ الإتباعِ الَّذي أوَّله التّاء

تَقولُ العَرَبُ : لا بارَكَ اللهُ فِيهِ ولا تارَكَ !، ولا يَقولونَهُ إلاَّ هكَذا ، فهو وإنْ كانَ مأخوذاً من التَّرْكِ ، فَلا مَعنىً له في هذا الموضع إلاَّ الإتباعُ[2] ؛

ويُقالُ : ما أعطاهُ حَبْرَ بَرًّا ولا تَبَرْبَرًا ، وما أعطاهُ

(١) وجاء في ل (جوس) الجُوس : الجوع يقال : جوساً له وبوساً كما يقال : جوعاً له ونوعاً، وحكى ابن الاعرابي : جوساً له كقوله : بوساً له !

(٢) أي لاصلة بين تارك وبارك في المعنى ولا مناسبة ، فلم يبق إلا انهم أتوا بها بقصد الاتباع للتقوية والتوكيد ، وليس اختلاف المعنى على إطلاقه هو الذي يميز الاتباع من غيره .

حَوَروراً ولاَ تَوَرْوراً [١] : أيْ ما أعْطاهُ شَيْئًا قالَ الشّاعِرُ [٢] :

١٩ أَمَانِيُّ لا تُجْدِي عليكَ حَبَرْبَرا

ويُقالُ لِلأَحْمَقِ : إِنَّهُ لَفَاكٌ تَاكٌ ، وفائِكٌ تأئِكٌ [٣] ؛

ويُقالُ : هو أَسْوانُ أَتْوانْ ، فالأَسْوان الحَزِينُ والأَتْوان إِتْباعٌ ، حَكاها الأَحْمَرُ [٤] ؛

---

(١) وفي ل (حبر) وما أصبتُ منه حَبَرْبراً : أي شيئاً ، لايستعمل إلاّ في النفي ، التمثيل لسيبويه والتفسير للسيرافي ، وحكى سيبويه : ما أصاب منه حبربراً ولا تبربراً ولا حَوروراً : أي ما أصاب منه شيئاً وقال أبو عمرو : مافيه حبربرٌ ولا حَبنبرٌ ، وهو أن يخبرك بشيء فتقول : مافيه حبنبر ، وفي ج (٣٧١/٣) : ويقال : ماعنده حبربر ولا تبربر ولا توررور ، وفي ٤٥٣/٣ وما أعطاه حبربراً وذورورراً مثل حوررور.

(٢) هو عمرو ابن أحمر بن فَرّاص بن معن الباهلي شاعر إسلامي يكني أبا الخطاب .

(٣) وفي ل (تكك) والتاك : المائك موقاً يقال : أحمق تاكّ ، وقيل : أحمق فاكٌ تاكٌ إتباع له بالغ الحمق ، وفي ترجمة (فكك) : ورجل فاكّ : أحمق بالغ الحمق ، ويتبع فيقال : فاكّ تاكّ ، وفي مجالس ثعلب ٤١٩/٢ : ويقال : إنه لتاكٌ تاكّ تاجّ : لا ينبعث من الكبر يعني البعير ، وقد يوصف به الرجل ؛ وقال الحُصيني : أحمق فاكّ وهاكّ وهو الذي يتكلم بما يدري وما لا يدري ، وخطؤه أكثر من صوابه ، وهو فكّاك هكّاك .

(٤) وجاء في ل (اسا) : ورجل أسْوان حزين ، وأتبعوه فقالوا : أسْوان أتوان وأنشد الأصمعي لرجل من الهذليين :

ماذا هنالك من أسوان مكتئبٍ وساهف ثل في صَعدة حطمِ

وحُكيت عن (الأحمر) في الإتباع والمزاوجة لابن فارس ص ٢٤ .

وَيُقالُ : هُوَ ضالٌّ تالٌّ ، وَقَدْ ضَلَلْتَ وَتَلَلْتَ ، وَضَلِلْتَ وَتَلِلْتَ . وَذَهَبَ في الضَّلالِ والتَّلالِ ، وفي الضَّلالِ ابنِ التَّلال ، وهو ضُلُّ ابنُ تُلٍّ ، والضَّلالُ ابنُ التَّلالِ : لِلَّذي لا يُعْرَفُ ما أَصْلُهُ [(١)] ؛

وَيُقالُ في الدُّعاء عَلَى الإنْسانِ : جُوسًا لهُ وبُوسًا وتُوسًا ! [(٢)] ؛

وفي بعض الرِّوايات : إِنَّهُ لَثِقَةٌ تِقَةٌ [(٣)] ؛

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَيُقالُ : لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ ! ولغةٌ أُخرى : ولا أَتْلَيْتَ ، أيْ : ولا كانَ لكَ إِبِلٌ يَتْلو بعضُها بَعْضًا ، فعلَى هــذهِ اللُّغَةِ

---

(١) وفي اللسان (تلل) ورجل ضالٌّ تالٌّ آلٌّ ، وجاء بالضلالة ، والتلالة قال الجوهري : وكل ذلك إتباع ، وكذا قال صاحب الإتباع والمزاوجة ص ٢٠

(٢) ل (جوس) الجوس الجوع يقال جوسا له وبوسا كما يقال جوعاً ونوعاً ، وحكى ابن الأعرابي : جوساً له كقوله : بوساً له ! فالاتباع هنا (توساً) وهو لا معنى له ، ولو كان التركيب (جوساً وبوساً) وهما بمعنى واحد (الجوع) كما حكاه ابن الأعرابي لكان توكيدا .

(٣) ليس هذا الاتباع في اللسان ولا التاج والصحاح ، وليس فيها مادة (وتق) ولا في كتب الإتباع ومباحثه .

الثانِيةُ هوَ مِنَ التَّوكيدِ لا مِنَ الإتباعِ : لأنَّه يُقال : أَتْلَى الرَّجُلُ : إِذَا كانَتْ لهُ إِبِلٌ يَتْلو بَعضُها بَعضًا (١)

★ ★ ★

بابُ التَّوكيدِ الَّذي أَوَّلُهُ التَّاء

يُقَالُ : إِنَّهُ لوَلِعٌ تَرِعٌ ، والتَّرِعُ : السَّرِيعُ إِلَى الشَّيْءِ ، وإِلَى ما لا يَعنيهِ (٢) ، قال الشَّاعِرُ (٣) :

(١) وفي حديث عذاب القبر : (لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ ولا اهتديتَ) قيل في معنى (ولا تَلَيْتَ) ولا تلوتَ : أي لا قرأتَ ولا درستَ من تلا يتلو ، فقالوا (تَلَيْتَ) بالياء ليعاقب بها الياءُ في دريت ليزدوج الكلام ، قال وكان يونس يقول : إنما هو (ولا أتْلَيْتَ) في كلام العرب معناه أن لا تُتلي إبله : أي لا يكون لها أولاد تتلوها ؛ وقال غيره : إنما هو (لا دريتَ ولا ائتَليتَ) على افتعلت من ألَوْت أي أطقتُ واستطعت . فكأنه قال : لا دريتَ ولا استطعتَ ، وقال ابن الأثير في النهاية (ألى وتلا) : والمحدثون يروون هــذا الحديث : (ولا تَلَيْتَ) والصواب (ولا ائتليت) : أي ولا استطعت أن تدري ؛ وانظر الحاشية الأخيرة من (باب الاتباع الذي أوله ألف) .

(٢) وفي ل (ترع) والمترّع : المسارع إلى ما لا ينبغي له قال الشاعر ، والشاهد برواية اللسان :

الباغيَ الحربِ يسعى نحوها تَرِعاً حتى إذا ذاق منها حامياً بردا

(٣) هو الراعي كما جاء في التاج ، وهو عُبيد بن حُصين النميري ، قال الصاغاني : ولم أجده في شعره .

٢٠ كَمُبْتَغي الحَرْبِ يَسْعَى نَحوَها تَرِعًا حَتّى إذا ذاقَ مِنْها جُرْعَةً نَدِمَا[1]

ويُقالُ : أُفًّا لَهُ وتُفًّا ، وأُفَّةً لهُ وتُفَّةً : والأُفُّ وسخُ الأُذنِ ، والتُّفُّ وسخُ الأظفار ، ويُقالُ : بل هو ما يخرجُ مِنَ الأنفِ[2] ؛

---

(١) والعَجز في الأصل : (حتّى إذا ضاقَ منها جُرعةً ندمًا) ولا معنى لِ (ضاق) مع الجرعة ، وقلت في نفسي لا بدّ أن يكون الأصل (ذاق) ، وراجعت اللسان (ترع) فإذا العجز فيه : (حتى اذا ذاقَ منها حامياً بَرَدا)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢) وفي ل (أفف) أفّ كلمة تضجر وفي التنزيل العزيز : (ولا تقل لهما أفّ . . .) وفيها عشرة أوجه جمعها جمال الدين بن مالك في بيت واحد وهو :

(فأفّ ثلّث ونوّن إن أردت وقل أفّى وأفّي وأفْ وأفّةً تُصِبِ)

وفي صحاح الجوهري (أفف) : ويقال أفًّا وتفًّا ، وهو إتباعٌ له ؛ وقال ابن الأنباري : من قال : أفًّا لك ، نصبه على مذهب الدّعاء كما يقال : ويلًا للكافرين ، ومن قال : أفٌّ لك ، رفعه باللام كما يقال : ويلٌ للكافرين ، ومن قال : أفٍّ لك ، خفضه على التشبيه بالأصوات كما يقال : صَهٍ ومَهٍ ، ومن قال : أفّي لك ، أضافه إلى نفسه ، ومن قال : أفْ لك ، شبهه بالأدوات بمَن وكَمْ وبلْ وهلْ .

وقالَ الفرّاء يُقال : رَجُلٌ صَيّاحٌ تَيّاحٌ ، قالَ : والتَّيّاح والصَّياحُ واحِدٌ (١) .

* * *

بابُ الإتباعِ الّذي أوّلُهُ الثّاء

يُقالُ : إنّــــهُ لأسوانُ أثوانُ في روايةِ بعضِهم (٢)، وقد حكيناهُ بالتّاء بنُقطتين آنِفًا (٣)، ولا أعرفُ في هذا البابِ من الاتباعِ غير هذا ، وهو من روايات الكوفيّين (٤) .

ARCHIVE

* * *

(١) وجاء في ل (تيح) وفرس مِتْيَحٌ وتَيّاح : يعترض في مشيه نشاطًا ويميل على قُطْرَيه .

(٢) ليس في اللسان والصحاح ولا القاموس والتاج هذا الإتباع ، ولا في كتب الإتباع ومباحثه ؛

(٣) في باب الإتباع الذي أوله التاء .

(٤) وهم أوفر ثروةً لغوية وشعريّة من البصريّين .

بابُ التوكيدِ الذي أوَّلُهُ الثاء

يُقالُ هوفي الضَّلالِ والثَّلالِ وهو الهَلاكُ [1] ؛ ويقال: جاء بالضَّلاَلَةِ والثَّلاَلَةِ ، وهو ضَالٌّ ثالٌّ ، وهومن قولهم : ثُلَّ عَرْشُ القوم : إذا هلكوا وزالت نِعمتُهم ، قال زُهَيْر بنُ أبي سُلْمَى [2] :

٢١ تَدارَكْتُما الأَحْلافَ قدثُلَّ عَرْشُها وذُبيانَ قدزَلَّتْ بأقدامِها النَّعْلُ

وقالَ لَبيدُ بْنُ ربيعَةَ [3] :

٢٢ فصَلَقْنَا في مُرادٍ صَلْقَةً وصُداءَ أَلْحَقَتْهُمْ بالثَّلَلْ

أيْ بالهلاك ، والثَّلَلُ والثَّلالُ واحِدٌ .

★ ★ ★

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) وليس (الثلال) في كتب اللغة المطبوعة وكتب الإتباع ؛ ولا أنها للضلال إتباع ؛ وجاء الثَّلَل بمعنى الهلاك .

(٢) الديوان ١٠٩ (ط الدار) ، والأحلاف هنا غطفان وقيس .

(٣) وعزاه اللسان (صلق . ثلل) الى لبيد أيضاً . وقال : أي وَقعنا بهم وَقعةً في مراد ؛ ويروي الشاهد (بالثَّلَل) أي الثَّلال جمع ثَلّة من الغنم فَقَصَرَ : أي أغنام يعني يرعونها ، قال ابن سيده والصحيح الأول .

بابُ الإتْباعِ الَّذي أوَّلُهُ الجيمُ

قالَ أبومَالك يُقَالُ : حَارٌّ يَارٌّ جَارٌّ ؛ ويُقال : رَجُلٌ حَرَّانُ يَرَّانُ جَرَّانُ : إذا أصابَتْهُ مُصيبَةٌ (١) ؛

ويُقالُ في الدُّعاء على الرَّجلِ : جُوعًا وجُودًا وجُوسًا ، فالجودُ هُوَ الجوعُ بِعَينِهِ ، وقولهم (جُوسًا) إتباعٌ . هذا قَوْلٌ ؛ وقد قيلَ : الجوسُ الجوعُ أيضًا ، فان كانَ هذا ثَبْتًا فهو مِنَ التَّوكيدِ لا من الإتْباعِ ، وقالَ أيضًا : بُوسًا لَهُ وجُوسًا (٢) ، وفَسَّروا قولَ الهُذَليِّ (٣) :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) وجاء في ل (برد) وحارٌّ بارٌّ إتباع ، وقد بَرَّ يَبَرُّ بَرًّا وبَرَراً ، والبرّةُ النار ، ولا يوصف به على نعت أفعل وفعلاء إلاّ الصخر والصّفا ، يقال صخرةٌ بَرّاء وصفا أبَرُّ ، ولا يُقال إلاّ مَلَّةٌ حارَّةٌ بارَّةٌ ؛ قال أبو عُبيد قال الكسائي : حارٌّ بارٌّ ، وقال بعضهم : حارٌّ جارٌّ ، وحرّان جرّان إتباع ، ولا يختص شيئاً دون شيء .

(٢) وفي اللسان (جوس) والجُوسُ الجوع ، يُقال جوساً له وبوساً ، كما يقال : جوعاً له ونُوعاً ! وحكى ابن الاعرابي : جوساً له كقوله : بوسا له !

(٣) هذا الهُذليُّ هو أبو خِراش ، واسمه خُوَيلد بنُ مُرَّة أحد بني قِرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل ، صحابيٌّ ، وجاء عجز بيته في الأصل مبتوراً ، وأتممناه من ديوان الهذليّين ٢/١٤٩ ، —

٢٢ تَكادُ يَداهُ تُسْلِمانِ رِداءهُ من الجود [لمّا استقبلته الشَّمائلُ]
فقالوا معناه: مِنَ الجُوعِ الشَّديدِ[1]؛
ويُقال: رَجُلٌ شَغِبٌ جَغِبٌ[2].

★ ★ ★

بابُ التَّوكيدِ الذي أوَّلهُ الجيمُ

تَقولُ العَرَبُ في الدُّعاءِ على الرَّجُلِ: نَكْدًا لَهُ وجَحْدًا، ونَكَدًا لهُ وجَحَدًا، والجَحَدُ: قِلَّةُ الخَيْرِ، ويُقالُ: إِنَّهُ لَنَكِدٌ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـــ ثم عثرت عرضاً عليه في ل (جود) معزواً لأبي خراش: أنّ يديه لا تحبسان شيئاً من ماله إذا هاجت الشَّمال في الشتاء. وهو فصل الجوع في البادية العجفاء؛ وهذا الشاهد من مرثية قالها في زُهير بن العجوة أخي بني عمرو ابن الحارث المقتول يوم حُنين، وقبله:

إلى بيتهِ يأوي الغَريبُ إذا شَتا ومُهْتَلِكٌ بالي الدَّريسَيْنِ عائِلُ

(١) وقوله (معناه) يعود ضميره إلى (الجود)، وقال الأصمعيّ: (من الجود) أي من السخاء. والتفسير على معنى الجوع: أن يديه لا تحبسان الخ ...

(٢) وفي ل (جغب) رجل شَغِبٌ جَغِبٌ: إتباع، لا يُتكلَّم به مفرداً؛ وفي التهذيب: رجل جَغِبٌ شَغِبٌ.

جَحِدٌ ، وأعطاهُ النَّكَدَ والجَحَدَ[١] .

ويُقالُ : جُوعًا لَهُ وجُوداً ، والجُودُ هُوَ الجُوعُ[٢] .

★★★

بابُ الإتباعِ الَّذي أوَّلُهُ الحاءُ

يُقالُ : هُوَ مَجْنونٌ مَحْنونٌ[٣] ؛

---

(١) وجاء في ل (نكد) ونَكِدَ الرجلُ نَكَداً : قلَّل العطاء أو لم يُعطِ ألبتَّةَ ، والنُّكْد والنَّكْد : قلة العطاء ، وأن لا يُهنأه من يُعطاه وأنشد :

وأعْطِ ما أعطيتَه طيِّباً لا خيرَ في المنكودِ والناكدِ

وفي الدعاء : نَكْداً له وجَحْداً ، ونُكْداً وجُحْداً ! قلت : والجحد بمعنى النكد ، ولهذا كان هذا التركيب من التوكيد .

(٢) مرَّ بنا في باب (الإتباع أوله التاء) جوساً له وبوساً وتوساً ! ، و (توساً) الثالثة هي الإتباع إذ لا معنى لها ، و (جوداً) في هذا التركيب بمعنى الجوع فهو توكيد كما لو قلتَ جوعٌ جوعٌ وزيدٌ زيد ، وذلك كما بيّنه المصنف في الباب السابق حين يكون (الجوس) بمعنى الجوع أيضًا ؛

(٣) وفي اللسان (حنن) ويقال : مجنونٌ محنون ، ورجلٌ محنون : أي مجنون ، وبهِ حِنّةٌ : أي جِنّة ؛ أبو عمرو : المحنونُ الذي يُصرع ثم يُفيق زمانًا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقال : مَالَهُ مَلْجَأٌ ولا مَحْجَأٌ : مَقْصُورانِ ، مَهموزانِ ، مُجْرَيانِ (١) .

★★★

بابُ التّوكيد الّذِي أوّلُهُ الحاءُ

تَقولُ العَرَبُ في الدُّعاء عَلَى الإنْسانِ : مَالَهُ جَرِبَ وحَرِبَ ! من الحَرَبِ (٢) ؛

---

(١) ل (حجأ) لم يجىء هذا الإتباع في اللسان ، وفيه ما يدل بمعناه على الالتجاء ، فقد حكى الأزهري عن الفراء : حجئت بالشيء وتحجّيت به يهمز ولا يهمز : تمسّكت به ولزمته ، فالمحجأ على هذا : المكان يتمسّك به الانسان ويلزمه ، فهو بمعنى الملجأ .

وقوله : (مقصوران مهموزان مجريان) . أيْ وردتا بالقصر (مَلجىً) وبالهمز (مَلجأ) ، و (مجريان) مصروفان ، والإجراء هو التعبير القديم للصرف ، فالمصروف مُجْرّى ، والممنوع من الصرف غير مُجْرّى .

(٢) وفي ل (جرب) الجَرَب معروف : بَثر يعلو أبدان الناس والإبل ، جَرِبَ يجرَب جَرَباً ، وأجْرَبَ القوم : جربت إبلهم ، وقولهم في الدعاء على الإنسان : ماله جَرِب وحرِب ! يجوز أن يكونوا دعوا عليه بالجَرَب ! وأن يكونوا أرادوا أجْرَبَ : أيْ جَربت (إبلُهُ) فقالوا : حَرِب إتباعاً لجرب ، وهم مما قد يوجبون للاتباع حُكماً لا يكون قبله ، ويجوز أن يكونوا أرادوا جَربت إبلُه فحذفوا الإبلَ وأقاموه مقامَه ؛ و (الحرَبُ) من قولهم : حَرَبَهُ يَحْرُبُه حَرَباً : إذا أخذ ماله وتركه بلا شيء ، ويقال حَرِب فلانٌ حَرَباً فهو رجل حَرِب أي نزل به الحَرَب ؛

وقالَ أبو زَيْدٍ يُقال : إِنَّهُ لَقَليل حَقِير ، وقَليلٌ حَقْرٌ ، والحَقيرُ والحَقْرُ واحِدٌ ، وهُوَ الصَّغيرُ الذليلُ[1] .

★★★

بابُ الإِتْباعِ الَّذي أَوَّلُهُ الخاء

حَكَى اللِّحْيانيُّ عن أبي جَعفَر الرُّؤَاسِيّ أَنَّهُ يُقالُ للرَّجُلِ : إِنَّهُ لَمَجْنونٌ مَخْنونٌ ، وقد أجنَّهُ اللهُ وأخَنَّهُ على غيرِ القياسِ ، والقياسُ جَنَّهُ اللهُ وخَنَّهُ ، وقياسُ أَجَنَّ وأَخَنَّ : مُجَنٌّ ومُخَنٌّ ، ولا يُتَكلَّم بِهِ[2] ، وقد حَكينا هذا الحَرْفَ قبلَ هــذا في بابِهِ[3] .

★★★

(١) وجاء في ل (قلل) : والحقير القليل من الرجال : القصير الدقيق الجثّة ، والحقير الصغير ، وليس في اللسان هذا الإتباع ، وفيه (الإتباع أوله النون) حقير نقير ، وحقر نقر .

(٢) أي لا يُتكلَّم به مفرداً ، ولو تكلموا به وحده بدون متبوعه لكان من التوكيد .

(٣) أي في (باب الإتباع الذي أوله الحاء) .

بابُ التوكيدِ الّذي أوّلهُ الخاء

يُقالُ: ما عِنْدَه خَلٌّ ولا خمرٌ: أيْ ما عنده شرٌّ ولا خيْرٌ، ويقال أيضاً: ماهُوَ بِخَلٍّ ولا خَمْرٍ: إذا كانَ لا يُرْجى ولا يُخاف، والخلُّ الشَّرُّ والخمرُ الخير [1]، قال الشاعرُ. أنشدَه الأصمعيُّ [2]:

٢٤ هَلاّ سألتِ بِعَاديَاءَ وبَيتِهِ والخَلِّ والخَمْرِ الّذي لَمْ يُمْنَعِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

***

(١) وجاء في ل (خلل) وفي المثل: ما فلان بخلّ ولا خمر: أي لا خير فيه ولا شرّ عنده، وسُئل الأصمعي عن الخلّ والخمر في هذا الشعر (الشاهد) فقال: الخمر الخير والخلّ الشر، وقال أبو عبيدة وغيره: الخلّ الخير والخمر الشرّ، وحكى ثعلب: ماله خل ولا خمر: أي ماله خير ولا شر.

(٢) هو النمر بن تولب يخاطب زوجته، ويروى العجز (التي لم تمنع) أي التي قد أحلّت، وبعد هذا البيت بأبيات:

لا تجزَعي إنْ مُنْفِسا أهلكتُهُ وإذا هلكتُ فعندَ ذلك فاجْزَعي

بابُ الإتباعِ الّذي أوّلُهُ الدّالُ

يُقالُ في الدُّعاءِ عَلَى الرَّجُلِ : لا باركَ اللهُ فيهِ وَلا تارَكَ وَلا دارَكَ ! (١).

ودُعاءٌ آخَرُ : أرْغَمَهُ اللهُ وأدْغَمَهُ ! ولَهُ منّي ما يُرْغِمُهُ ويُدْغِمُهُ ؛ ويَقولونَ : رَغْمًا دَغْمًا ! ؛ وفَعَلْتُ ذَاكَ عَلى رَغْمِهِ ودَغْمِهِ (٢) .

ويُقَالُ : قَضَى اللهُ لكَ كلَّ حاجَةٍ ودَاجَةٍ بالتخفيفِ ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) ومرّ بنا في إتباع التاء (لا بارك الله ولا تارك !) قال أبو الطيب في (تارك) : فهو ، وإن كان مأخوذاً من التَّرك ، فلا معنى له في هذا الوضع إلا الإتباع ، كذلك لا معنى لإتباع (دارك) في هذا الموضع ولا مناسبة ، إلا أنهم وَتَدوا به (لا بارك الله) في الدعاء على الرجل فهو إتباع للتوتيد والتوكيد .

(٢) وفي ل (رغم) الرَّغم (مثلثة) الكره ، والمرغمة مثله ، وأرغم الله أنفه : أي ألزقه بالرَّغام وهو التراب ، هذا هو الأصل ، ثم استعمل في الذلّ والعجز عن الانتصاف والانقياد على كُرهٍ ، ورَغَّمَهُ قال له : رَغْماً دغماً ، وهو راغم داغم ، ولأفعلنّ ذلك ورَغْماً وهواناً ، نصبه إضمار الفعل المتروك إظهاره ، ورجل راغم داغم إتباع ، وقد أرغمه الله وأدغمه ، وقيل : أرغمه : أسخطه وأدغمه بالدال سوّده .

وقد أقبل الحاجُّ والدَّاجُّ : مُشَدَّدٌ ؛ وزعموا أن الدَّاجَّ : الَّذين يَدِجُّون خَلْفَ الحاجِّ : أي يَدِبُّونَ بالتِّجاراتِ وغيرها ولا يُفْرَدُ الدَّاجُّ[١] ؛

ويُقالُ : جُوعًا دَيْقُوعًا ! إذا دُعِيَ على الإنسانِ[٢] ؛

ويُقالُ : مَائِقٌ دَائِقٌ مِنْ قَولهم : رَجُلٌ مُدَوَّقٌ : أي مُحَمَّقٌ ، والدُّوقُ الحُمْقُ ، وكذلكَ المُوقُ ، يقالُ : مَاقَ الرَّجُلُ يَمُوقُ

---

(١) وفي ل (حجج) : وأمَّا قولهم : أقبل الحاجُّ والداجُّ ، فقد يكون أن يراد به الجنس ، وقد يكون اسماً للجمع كالجامل والباقر ، وروى الأزهري عن أبي طالب في قولهم : ما حَجَّ ولكنّه دجّ ، قال : الحجُّ الزيارة ، وإنما سُمّي حاجًّا بزيارة بيت الله ، والدّاج الذي يخرج للتجارة ؛ وفي نهاية ابن الأثير ٢ / ١٣ (دجج) في حديث ابن عمر أنه رأى قوماً في الحج لهم هيأة أنكرها فقال : «هؤلاء الداجُّ وليسوا بالحاجّ» والدّاجُّ : أتباع الحاج كالخدم والأُجراء والجمّالين لأنهم يَدِجّون على الأرض أي يَدِبّون ، وهذان اللفظان وإن كانا مفردين فالمراد بهما الجمع كقوله : «مستكبرين به سامراً تهجرون» .

(٢) ليس في اللسان هذا الإتباع في الدعاء على الإنسان ، والدّقعاء عامة التراب ، ومنها اشتقوا دَقِع الرجل يدقَعُ دَقَعاً وأدقع : لَصِقَ بالدّقعاء فقراً وذلاً ، ومنها الجوع الدّيقوع هذا ، وهو الشديد .

مُوقاً [١] ، قال الرّاجِزُ [٢] :

يا أيُها الشَّيْخُ الكَثيرُ المُوقِ
أُمَّ بِهِنَّ وَضَحَ الطَّرِيقِ

ولا يُتكَلَّمُ بالدَّائِقِ مُفْرَدًا [٣] ؛ ويُقال : إِنَّهُ لَيَمُوقُ مَوَاقَةً ومَؤوقاً ، ودَاقَ يَدُوقُ دَوَاقَةً ودَوُوقاً أيْضًا ؛

ويُقالُ: إِنَّهُ لخاسِرٌ دابِرٌ ، وخَسِرَ دَبِرَ؛ ومَالَهُ خَسِرَ ودَبِرَ ! [٤]

★★★

(١) وفي ل (موق) ، الموق : حمق في غباوة ؛ أبو بكر في قوله فلان مائق ثلاثة أقوال : المائق : السيء الخلق ، والحمق ، والسريع البكاء ، والدائق : الهالك حمقاً ؛ يقال : هو أحمق دائق مائق ، وقد ماقَ وداق مَوْقًا ودَوْقًا ومَوَاقَةً ودَوَاقَةً ومُؤوقًا ودُؤوقًا ؛ أبو سعيد : داقَ الرجلُ في فعلِهِ ودَاكَ ، يَدوقُ ويدوكُ إذا حمُقَ .

(٢) أنشده أبو حاتم عن أبي عبيدة ج ٢/١٨٤ .

(٣) أي ليس بلغة فيتكلّم به منفرداً ، ولا معنى له في هذا الموضع إلا الإتباع ، فان كان للدائق معنى يؤكد معنى المائق ويُنطق به منفرداً ، فهو من التوكيد .

(٤) قال أبو علي في أماليه (٢/٢١٤) ويقولون : خاسر دابر ، وخاسر دَامِر ، وخَسِرَ دَمِرَ ، وخَسِرَ دبرا . فالدابر يمكن أن يكون لغة في الدامر وهو الهالك ، ويمكن أنَ يكون الدابر الذي يدُبر الأمر أي يتبعه ويطلبه بعد ما فات وأدبر ، ويمكن أن يكون الدابر الماضي الذاهب ، كما قال الشاعر :

وأبي الذي ترك الملوك وجمعهم   بصُهابَ هامدةً كأمس الدابر

بابُ التّوكيد الّذي أوّلُهُ الدّالُ

يُقال : إنّه لَخاسِرٌ دامِرٌ ، والدامر الهالك ، والدّمَارُ الهَلاكُ ، ويقال : دُمّرَ القومُ : إذا أُهلِكُوا[١] ، وفي التّنزيل[٢] : « إنّا دَمّرناهُمْ و قَوْمَهُمْ أجمَعينَ ، وقال الرّاجز[٣] :

٢٦ أمْسَوْا كَعَادِ إرَمٍ إذْ دُمّروا
بِصَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ لا تُنْكَرُ
هَيْهاتَ لا نصرَ لمن لا يُنْصَرُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) ابن السكيت : يقال : رجل خاسرٌ دامِرٌ كدابِرٍ ، وحكى اللحياني أنه على البدل ، وقال : خَسِرٍ ودَمِرٌ ودَبِرٌ ، فأتبعوها خَسِراً ؛ قال ابن سيده : وعندي أن خَسِراً على فعله ، ودَمِراً ودَبِراً على النسب ، وما رأيت من خسارته ودمارته ودبارته .

(٢) من الآية « فانظرْ كيف كانَ عاقبةُ مكرهم أنّا دمّرْناهم وقومَهم أجمعين . » النمل ٥١ ؛ وفي الأصل من خطأ النسخ (فدمّرناهم . . .)

(٣) يذكر قوماً عتَدَوا وعَتَوا ، وأنّ عاقبةَ أمرهم أنهم أمسوا كعاد إرَم الذين ذُكروا بقوله تعالى : « ألم تَرَ كيفَ فعل ربُّك بعادٍ إرَمَ ذات العِماد » : وبقوله تعالى : « وأما عادٌ فأُهلِكوا بريحٍ صَرصَرٍ عاتية » ، وفي الصحاح (صرر) : وريح صرصر أي باردة ، ويقال أصلها صَرَّرَ من الصَّرّ فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل كقولهم : كُبْكبوا ، أصله كبّبوا ، وتجفجفَ الثوبُ أصلُه تجفّفَ .

وإِنَّهُ لَخسِرٌ دَمِرٌ ؛ وَمالَهُ خَسِرَ ودَمَرَ ! ؛ فإذا قُلتَ : خاسِرٌ دَابِرٌ بالبَـاء ، فَلا وَجهَ لَهُ إلاّ أنْ يكُونَ إِتْباعًا ، أو تكونَ الباء مُبْدَلَةً مِنَ الميمِ .

★ ★ ★

بابُ الإتباع الّذي أوّلُهُ الذّالُ

وَلَمْ نَجِدْ مِنَ الإِتْباعِ حَرْفًا أوّلُهُ الذّالُ المُعْجَمَةُ فَنَذْكُرَهُ .

★ ★ ★

بابُ التَّوكِيدِ الّذي أوّلُهُ الذّالُ

يقالُ : إِنَّهُ لَخفيفٌ ذَفيفٌ[1] ، والذَّفيفُ هُوَ السَّريعُ مِنْ قَوْلِهِمْ : ذفَّ عَلَى الجريحِ ، وذَفَّفَ عَلَيْهِ ذَفًّا وتَذْفِيفًا : إِذَا أَجْهَزَ عَلَيهِ إِجْهازا سَريعًا[2] .

★ ★ ★

(١) جاء في ل (ذفف) . والذفيف والذفاف : السريع الخفيف ، ذف يَذِف ذَفافةً ، يقال : رجل خفيف ذفيف : أيْ سريع ، وخُفاف ذُفاف ، وبه سُمّي الرجل ذُفافة .

(٢) وكذلك الذّفافُ السّمُّ القاتل لأنه يجهز على من شَرِبه ؛ وفي الحديث : دخلت على أنس ، وهو يصلّي صلاةً خفيفة ذفيفة كأنها صلاة مسافر .

بابُ الإتباع الّذي أوّلُهُ الرّاء

يُقال : أعطيْتَه المالَ سَهْوًا رَهْوًا : عن اليَزيديّ (١) ؛

وقالَ أبو الجرّاحِ العُقَيْليُّ يُقالُ : سَدَحَتْ المرأةُ عند زَوْجِها ورَدَحَتْ سُدُوحًا ورُدُوحًا : أيْ أخْصَبَتْ (٢) ؛ ويُقال: تَرَكْتُهُ سَادِحًا رادِحًا : صَرَعْتَهُ .

ويُقالُ : ما يَخْفَى هذا عَلَى الهَيْدانِ والرّيْدانِ : أيْ ما يَخْفَى على المُقْبِلِ والمُدْبِرِ ؛ ويقال : جاءني منَ الناسِ

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) وجاء في لسان العرب (سها) : ويقال : أفعل ذلك سَهْواً رَهواً : أي عفواً بلا تقاضٍ ، ومنه الحديث الذي رواه الهروي في غريبي القرآن والحديث : « آتيك به غداً سَهْواً رَهْواً » أي ليّنًا ساكنا (النهاية ٢ / ٢١٣) .

(٢) وفي ل (سدح) وفلان سادح : أي مُخْصِب ، وسَدَّح بالمكان أقام ؛ ابن الأعرابي : سدحَ بالمكان وردح : إذا أقام بالمكان أو المرعى ، وقال ابنُ بزرج : سدحت المرأة وردحت : إذا حظيت عند زوجها ورُضيت ، وسدحه فهو مسدوح وسديح صرعه كسطحه قال الأزهري : السدح والسطح واحد ، أُبدلت الطاء فيه دالاً كما يقال مَطّ ومدّ وما أشبهه ؛ وسدحَ الناقة سَدْحاً كسَطَحها ، فإمّا ان يكون لغةً ، وإمّا أن يكون بدلا .

الهَيْدَانُ والرَّيْدانُ ، وكَأَنَّ الهَيْدانَ من قولِهِمْ : هَادَ يَهودُ . فأبدلوا الواوَ ياءً كما قالوا غَشْيَانُ وغَدْيانُ[١] ؛

و يقالُ : أَصْبَحَ الرَّجُل شَوْبًا رَوْبًا : أي خَبيثَ النَّفْسِ[٢] .

★★★

(١) وليس في ترجمتي (هدن وردن) من اللسان ولا التاج اتباع الهَيدان والريدان ؛ وفيه عن ابي عبيد في النوادر : الهَيْدان والهدان واحد ، قال الأزهري : وهو فَيْعَال مثل عَيْدان النخل ، النون أصلية والياء زائدة ، والهِدان والهَيْدان الأحمق الثقيل في الحرب ، وأراه من المدنة وهي السكون : هَدَنَ يَهدِنُ هُدوناً سكن ؛ شمر : هدّنتُ الرجلَ سكّنته وخدعته كما يهدّن الصّبيُّ ، والتهدين البُطْء ، وهو على رأي المصنّف من هاد يهود ، والهَوْدُ والتَّهوُّد الذي هو الإبطاء في السير واللين ، والتهويد المشي الرُّويد مثل الدبيب ونحوه ، وأصل ذلك كله من الهوادة وهي الرخصةُ : لأن الأخذ بها ألين من الأخذ بالشدة .

(٢) (شوب) الشوب الخلط ، يقال للمخلّط في القول أو العمل هو يَشوب ويَروب ، وحكى ابن الأعرابي : ماعندي شَوْبٌ ولا رَوْب ، فالشوب العسل ، والروب اللبن ، الأصمعي في (باب إصابة الرجل في منطقه مرةً وإخطائه أخرى) : هو يَشوب ويروب .

بابُ التَّوكيدِ الَّذي أوَّلُهُ الرّاء

يُقال : هُوَ يَحُفُّنا ويَرُفُّنا : أيْ يُعْطينـا ويَميرُنا ، وفي الحديث : «مَنْ حَفَّنَا أو رَفَّنا فَلْيَتَّرِكْ [١] ؛

ويُقالُ : مالَهُ حَمٌّ ولا رَمٌّ ، فالحَمُّ القَصْدُ والرَّمُّ الإصْلاحُ ، والمعنَى : مالَهُ شَيْءٌ يَتَوَجَّهُ لَهُ ؛ وقال الرّاجز أنْشَدَهُ أبو عَمرٍو الشَّيبانيُّ :

٢٧ إنّي لِمَنْ أنكَرَ وَجْهي حَمُّ
أكُلَّ أعْراضِكُمْ أتُمُّ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) جعله أبو الطيب هنا حديثاً ، وابن منظور في اللسان جعله مثلاً ، والجوهري وثعلب : من أقوال اللغة ، وجاء في نهاية ابن الأثير ٢ /٩٨ (رفف) : من حفّنـا أو رفّنا فليقتصد» أراد المدح والإطراء يقال : فلان يرفّنـا : أي يحوطنا ويعطف علينا ؛ وفي اللسان (رفف) ابن الأعرابي : رفّ الرجلَ يرفّه رفًّا : أحسن اليه وأسدى اليه يداً ، وفي المثل : من حفّنا أو رفّنا فليتّرك ، أمّا ابو عبيد فجعله إتباعاً ؛ وجاء في مجالس ثعلب (٢ : ٤١١) : ويقال : هو يحفنا ويرفنـا ، فيحفنا : يقوم بأمرنا ، ويرفنا : يطعمنا ويسقينا ؛ قلتُ : وهو على ذلك من باب التوكيد .

ويُقال : سَقَاهُ اللهُ ورَعَاهُ ، وسَقْيًا لَهُ ورَعْيًا ! قال الشَّاعِر :

٢٨ سَقْيًا ورَعْيًا وإيمَانًا ومَغْفِرةً ... لِلْباكياتِ عَلَيْنا يَومَ نَرْتحِلُ

ويُقَالُ : ضَبٌّ سِبَحْلٌ رِبَحْلٌ ، وكلاهما الطَّويلُ الضَّخْمُ ، وكذلكَ فحْلٌ سِبَحْلٌ رِبَحْلٌ [1] قال الشَّاعِر [2] :

٢٩ سِبَحْلٌ لَهُ نِزْكانِ كانا فَضيلةً ... عَلَى كُلِّ حافٍ في الأَنام ونَاعِلِ

★★★

(١) جاء في اللسان (سبحل) : السِّبَحل على وزن الهِجَفّ : الضخم من الضب والبعير والسِّقاء والجارية والربحل : التارّ في طول ، وعن ابن السكيت : وجمل سبحل ربحل : عظيم ؛ الليث : سبحل ربحل : إذا وصف بالترارة ؛ وقيل لابنة الخُسّ : أيُّ الإبل خير ؟ فقالت : السبحل الربحل ، الراحلة الفحل ؛ وحكى اللحيانيّ : إنه لسبحل ربحل : أي عظيم قال : وهو على الإتباع ؛

(٢) حمران بن النعصّة كما جاء في ج (٣ / ١٦) وفي ل (نزك) و (سبحل) ومخ ٨ / ٩١ وشرح أدب الكاتب للجواليقي ٢٤٦ ، والاقتضاب ٣٥٥ ، وفيه (سبحلًا) لاسبحل ، والشاهد فيه من أربعة ابيات يصف حُمران بها الضباب ، وقد كان خالد بن عبد الله القسري ، أو ابن هبيرة (الجواليقي) استعمله جابياً للخراج على ظهر الحيرة فلما كان يوم النيروز أهدت الدهاقين والعمال اليه جامات الذهب ، وأهدى حمران له قفصاً من الضباب وكتب اليه :

بابُ التوكيد الّذي أوّلُهُ الزّايُ[1]

ولَيسَ في الإتْباعِ كلمةٌ أوّلُها الزّايُ ، ولا في التّوكيد إلاّ قولُهُمْ : رَجُلٌ أحمَقُ أزْبَقُ ، قالَ أبو زيد : الأزْبَق : الذي يَنْتِفُ لِحْيَتَهُ مِنْ حُمْقِهِ ، وَهُو مِنْ قولِهِمْ : زَبَقَ الشّعْرَ يَزْبِقُهُ زَبْقًا : إذَا نَتَفَهُ[2] .

★★★

ـــجبّى المالَ عمالُ العراق وجَبْوتي محلّقةُ الأذناب صُفْرُ الشّواكلِ
رعين الدّبا والنّقد حتى كأنما كساهن سلطانٌ ثيابَ المراجلِ
ترى كلّ ذيّالٍ ، إذا الشمسُ عارضت سَما بين عرسيهِ سموّ المخايل
مبجل له نزكان . . .

ونِزْكُ الضب ذكره ، والأعراب تزعمُ ان له نزكين يفاخر ويختال بها ، و (الجَبْوةَ) مايجبيه العامل و (الشواكل) الخواصر ، و (الدّبا) صغار الجراد ، و (النقد) نبات ، و (المراجل) ضرب من البرود ، و (سَما) ارتفع ، و (عرسيه) أي زوجتيه و (المخايل) المفاخر بالخيلاء لأن له نزكين .

(١) كان الكلام في (الإتباع الذي أوله الزاي) متّصلاً بما قبله بدون باب ، فوضعنا هذا الباب له ولأشباهه لكيلا تختلط الأبواب ؟

(٢) جاء في الصحاح (زبق) : زَبَقَ شعره يَزبِقُه زَبقاً نتفه ، وفي اللسان : وقال الوزير ابن المغربي : الأزبق الذي ينتِف شعر لحيته لحماقته ، وقد جعله المصنّف من التوكيد لأنه قد يتكلّم به مفرداً ؛ ومتى جاء تابعاً لأحمق كان توكيداً : لأنه يؤكد معناه ويقوّيه .

بابُ الإتْباع الَّذي أوَّلُهُ السِّينُ

يُقَالُ : إنَّهُ لَذُو جُودٍ وسُودٍ ، فقال قَوْمٌ : هُوَ إتْباعٌ(١) ، وقالَ آخَرون : إنَّما أرَادوا بهِ : ذُو جُودٍ وسُودَدٍ(٢) ، فأسْقَطُوا إحْدَى الدَّالين لِيكونَ على وَزْن جود كما قالُوا : أنا آلقاهُ بالغَدايا والعَشَايَا ، وليسَ جمعُ غَداةٍ غدايا ؛ ولكنْ لمَّا جَمَعوا بينَها وبَينَ العَشَايا ، أخرَجُوها عَلَى مِثالِها ، وقد جاء في الشِّعْرِ السُّود بمعنى السُّودَد ، أنشَدَنا جَعفرُ بنُ مُحمَّد(٣) :

ARCHIVE

---

(١) إذ لامعنى لسُود ، فهي مع جود مثل بسن مع حسن ، ولا تقال مفردة ، فإن كانت بمعنى السُّؤدد ، وأمكن إفرادها في الكلام فهي من التوكيد ، هذا ماأراد ابو الطّيب ، ولو اراد نفي القول الثاني لقال على عادته : (وزعم آخرون) ؛ وليس حرف السُّود في اللسان ولا الصّحاح والقاموس بمعنى السودد ، ولا هذا الشاهد ، وجاء في الصحاح ما يشعر أن أصل (سودد) سود ، إذ قال : والدال في سودد زائدة للالحاق بباب فُعْلُل مثل جُنْدُب وبُرقُع .

(٢) كذا جاء في الأصل على اللغة الفصحى غير مهموز ، وقد جاء في ل (سود) : والسُّودَد الشرف معروف ، وقد يُهمز وتُضم الدال ، طائية

(٣) اعله ابو الفضل جعفر بن محمد بن بابتويه ، ممن كان يحدث أبا عمر الزاهد وأبا الطيب اللغوي ، وقد روى عن ابراهيم بن حُميد عن السجستاني ، وعن أحمد بن غياث النحوي الذي يروي عن الرياشي عن الأصمعي ، وأخذ عن أئمة اللغة في عصره .

وهِيَ تَبيتُ لا تَعَشَّى عُودَا
ذَاتَ إِباء كَرَمًا وسُودَا

أيْ وسُودَدا ؛

ويُقال : إنَّهُ لَضائعٌ سَائِعٌ ، ورَجُلٌ مِضْياعٌ مِسْياعٌ : إذَا كانَ كَثِيرَ التَّضْييع لِمَالِه (١) ؛

ويُقال : هُوَ لكَ أَبدًا سَمَدًا .

***

ARCHIVE

بابُ التَّوكيدِ الّذِي أوَّلُهُ السِّينُ

يُقالُ : تَرَكْتُهُ خَزْيَانَ سَوْءانَ ، فَخَزْيَانُ مِنَ الخَزَايَةِ وهُوَ الاستِحياء ، يُقالُ : خَزِيَ يَخْزَى خَزَايَةً : إذا اسْتَحْيَى ، وسَوْءانُ مِنَ القُبْحِ وتَغَيُّرِ الوَجْهِ ، يُقالُ : رَجُلٌ أَسْوَأُ ،

---

(١) أبو علي القالي في أماليه (٢ / ٢١١) ويقولون : مضيع مسيع ، والإساعة الاضاعة ، وناقة مسياع اذا كانت تصبر على الإضاعة والجفاء ، ومعنى (أساع) ألقى في السِّياع وهو الطين قال القطــاميّ : (كما طيّنت بالفدن السيــا) ، والأصل فيه ماأنبأتك ، ثم كثر حتى قيل لكل مِضْياع : مِسْياع ، ولكل مُضيع : مُسيع ؛

وأمْرَأةٌ سَوْءاءُ ، وهِيَ القَبيحةُ المَنْظَر [١] ، وفي الحديث : سَوْءاءُ وَلودٌ خيرٌ من حَسْناءَ عَقِيمٌ » [٢] ، ومنه قولهمْ : هذه السَّوأةُ السَّوْءاءُ قال الشاعر :

٣١ والسَّوأةُ السَّوْءاءُ في ذكرِ القَمَرْ

وَصفَ جارِيَةً فيها لُكْنَةٌ تجعَلُ القافَ في كلاَمِها كافاً ، فتَقُول في القَمرِ الكَمر ؛ ويُقالُ : سَوَّأتُ عليْهِ ما صَنَعَ : أيْ قَبَّحْتُهُ ؛ وتَقولُ العَرَبُ : إن أصبْتُ فَصَوِّبْنِي ، وإنْ أخطَاتُ فَخَطِّئْنِي ، وإنْ أسأتُ فَسَوِّئ عَليَّ ، أيْ قُلْ لي : ما أسْوأ ما صَنَعْتَ !

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) وفي اللسان (خزا) الليث : رجل خَزْيان وامرأة خَزْيا : وهو الذي عمل أمراً قبيحاً فاشتد لذلك حياؤه ، والجمع الخزايا ؛ وفي ل (سوأ) : عن الليث : ساءَ يسوء فعل لازم ومُجاوز (متعدٍ) ، تقول : ساء الشيءُ يَسوء سَوْءاً فهو سَيِّىء : إذا قَبُح ، وخَزْيان سَوْآن من القُبْح ، والسُّوْأة السوآء الخلة القبيحة ، ويجوز أن تكتب سَوءاء .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (٢ / ٢٠٥) بعد أن ذكر هذا الحديث : السوآء القبيحة يقال : رجل أسوأ وامرأة سوآء ، وقد يطلق على كل كلمة او فعلة قبيحة ، أخرجه الأزهري حديثاً عن النبيء ﷺ ، وأخرجه غيره حديثاً عن عمر ، وأورد هذا الحديث أبو عبيد الهروي في غريب القرآن والحديث .

ويُقالُ : إِنَّهُ لنادِمٌ سَادِمٌ ، والسَّادِمُ المَهْمُومُ ، وإِنَّهُ لَنَدْمَانُ سَدْمَانُ . وامرأَةٌ نَدْمَى سَدْمَى ، وقَوْمٌ نَدَامَى سَدَامَى (١) ؛

ويُقالُ : مالهُ عَبِرَ وسَهِرَ ! يُدْعَى بِهِ عَلى الإِنْسان (٢) ؛

ويُقالُ : لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ ! فقولهمْ : لَبَّيْكَ مَعْنَاهُ : إِلْبَابًا بِكَ أيْ إِقامَةً عندَ طَاعَتِكَ ، والإِلْبابُ : المَقَامُ ، يُقالُ : أَلَبَّ بالمكانِ يُلِبُّ إِلْبابًا : إذا أَقَامَ بِهِ ؛ وقَوْلُهُمْ : سَعْدَيْكَ يُرِيدونَ إِسْعادًا لَكَ (٣) ؛

(١) وفي اللسان (ندم) : نَدِمَ على الشيء ، وعلى مافعل نَدَماً ونَدامةً ، وتَنَدَّم : أَسِفَ ، ورجل نادمٌ سادمٌ ، ونَدمانُ سَدْمانُ ، وقومٌ نُدّامٌ سُدّامٌ ، ونِدامٌ سِدامٌ ، ونَدامَى سَدامَى ؛ وفي المخصّص (١٤ / ٣٥) : ويقولون : نادمٌ سادمٌ ، فالسّادم المهمومُ ، ويقال الحَزِين ، ويقال : السَّدَمُ الغضبُ مع همٍّ ، ويقال : غيظٌ مع حُزن ؛ فالسّادمُ ليس واجباً أن يتبع النادم ، وأن يتكلّم به مُفرداً ولذا كان توكيداً لسابقِهِ .

(٢) وجاء في ل (عبر) وحكى الأزهريّ عن أبي زيد : عَبِرَ الرجل يَعبَر عَبَراً : إذا حَزِن ، ومن دعاء العَرب على الإنسان : ماله سَهِرَ وعَبِرَ !

(٣) روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول في افتتاح الصلاة : لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ ، والخير في يديك ، والشرُّ ليس إليك ، قال الأزهري : وهو غير صحيح ، وحاجةُ أهل العلم الى معرفة تفسيره ماسةٌ ، ـــ

ويُقالُ : أَخَذْتُهُ عَفْوًا سَهْوًا [1] ؛

ويُقالُ : هوَ لَكَ أَبَدًا سَرْمَدًا ، والسَّرْمَدُ الدَّائِمُ [2] .

★★★

(للإتباع بقيّة)

ـــ فأمّا (لبّيكَ) فهو مأخوذ من لَبَّ بالمكان وألَبَّ : أي أقام به لَبّاً وإلباباً ، كأنه يقول : أنا مقيمٌ على طاعتكَ إقامة بعد إقامة ، ومجيب لك إجابة بعد إجابة ؛ وأمّا (سعدَيك) فقد قال ابن الأثير : أي ساعدت طاعتك مساعدةً بعد مساعدة وإسعاداً بعد إسعاد ، ولهذا ثُنّي ، قال الفرّاء : لا واحد للبّيك وسَعديك على صحّة ، وأصل الإسعاد والمساعدة متابعة العبد أمرَ ربه ورضاه .

(١) وفي ل (عفا) العَفْو ما أتي بغير مسألةٍ ، وأدرك الأمر عفْواً صَفْواً أيْ في سهولة ومَراح ، ويقال : خذ من ماله ماعفا وصفا : أي مافَضَلَ ولم يشقّ عليه ؛ وفي ل (سها) ومَشْيٌ سَهْوٌ لَيّن ، والسَّهْوة من الإبل اللّيّنة السّير الوطنية لاتتعب راكبها كأنها تساهيه ، ومنه الحديث : آتيك به غداً سهواً رهواً : اي ليّنا ساكنا .

(٢) السرمد في اللغة الطويل والدائم ، وفي التنزيل الجليل : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النّهار سرمداً » ، وفي أمالي القالي (٢ / ٢١٨) ويقولون : هو لك أبداً سَمْداً سرمداً ، ومعناها كلها واحد .

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

— ١٠ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
٩٨٢٠	كُساحة	Paraplégie paraplégie d'Erb V. paralysie spinale spasmodique	9820
٩٨٢٢	كُساحة سفلى (الساقين)	Paraplégie inférieure (des deux jambes)	9822
٩٨٢٦	كُساحة عليا (العَضُدَيْن)	Paraplégie supérieure (des deux bras)	9826

وتدل لفظة (Paraplégie) على شلل يصيب طرفين متماثلين ، والشائع استعمالها لشلل الرجلين أو الطرفين السفليين ، لذا درجت على ترجمتها بالشلل النصفي السفلي ، وأقر مجمع اللغة الشلل السفلي . وسَبَق للجنة أن استعملت هذه اللفظة (كُساحة) في ترجمة (Chondrodystrophie) بكُساحة الولدان ، حَثَل الغضاريف [1] .

(١) الصفحة ٨٢ من الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة . وانظر الى الشرح الوارد في هامش الصفحة ٨٣ من الجزء نفسه .

لذا أرجح أن يقال في ترجمة اللفظة الأولى الشلل النصفي (وأفضل أن يضاف اليها السفلي لشيوع استعمال اللفظة في شلل الطرفين السفليين) وفي الثانية الشلل النصفي السفلي (الطرفين السفليين أو الرجلين لا الساقين) وفي الثالثة الشلل النصفي العلوي (الطرفين العلويين أو اليدين لا العضدين).

٩٨٢٨ كسيح 9828 Paraplégique

وأرجح مشلول الطرفين السفليين. هذا وانه لا يحتم في الشلل النصفي السفلي أن يكون صاحبه مقعداً إذ كثيراً ما يستطيع المشي مشية مضطربة مما يبرر هذه الترجمة عوضاً عن الكسيح.

٩٨٤٣ إجهاد العقل ، إعياء الفكر 9843 Parathymie

وعرفت اللفظة بأنها اضطراب نفساني لا تنطبق انفعالات صاحبه على الواقع ، لذا أرجح تعريب اللفظة بباراثيميا ، تاركاً إجهاد العقل وإعياء الفكر لترجمة لفظة (Surmenage intellectuel) شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة هذا المصطلح (الرقم ١٢٩٨٤).

٩٨٤٤ عوارض قصور جارات الدرق 9844 Parathyréoprive

ودرجت على ترجمتها بالحرمان من مجاورات الدرق أو عوز مجاورات الدرق.

٩٨٥٢ مُلْحِمَة (نسيج خاص) 9852 Parenchyme

وأقر مجمع اللغة اللُّحْمَة.

٩٨٥٤ غيرُ مِعَوي 9854 Parentéral, le

وعن غير طريق الفم. لأن أكثر استعمال هذه اللفظة هو للدلالة على دخول الدواء بأنه عن غير طريق الفم.

٩٨٥٥ خَذَل ، شَلَلٌ ناقص 9855 Parésie, paralysie incompliète

ودرجت على ترجمة اللفظة بالشلل الخفيف (١) وأقر مجمع اللغة هذه اللفظة .

٩٨٧٠ شِدَّة ، حِدَّة Paroxysme 9870

٩٨٧٠ شديد ، مُحتَدّ Paroxystique 9870

والشائع ترجمة اللفظة الأولى بالاشتداد والثانية بالاشتدادي . ويعنى باللفظة الفرنجية الأولى نُوب دورية تخلل سير أحد الأمراض فتشتد الأعراض في خلالها عن ذي قبل ، وكذلك الظهور المفاجئ لبعض الأعراض . ولفظة شِدَّة شاعت في ترجمة لفظة (Stress) .

٩٨٧١ توالُدُ بلا إلقاح ، تناسل متتابع ، إيناث Parthénogénèse 9871

Participation V. collaboration

وفي معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي : تناسل عُذري ، تناسل بِكْري وأهملت اللجنة ترجمة اللفظة الثانية وهي مشارَكة .

٩٩١٩ علم الأمراض العامة Pathologie générale 9919

٩٩٢٣ علم الأمراض الخاصة ، الاختصاصية Pathologie spéciale 9923

ودرجت على ترجمة اللفظة الأولى بعلم الأمراض العام والثانية بعلم الأمراض الخاص . لأن الأول يبحث في السنن العامة التي يجري حكمها في شتى الأمراض كالالتهاب والتقيح والغانغرينا وما اليها ، بينما يقتصر بحث علم الأمراض الخاص على فئة معينة من الأمراض كالأمراض الباطنة وأمراض الجلد والأمراض الجراحية وما إليها .

٩٩٤٣ هَمْهَمَة Pectoriloquie 9943

ودرجت على ترجمة اللفظة بالتكلم الصدري . وما يقصد من اللفظة الفرنجية

(١) في اللسان : وتخاذلت رِجْلا الشيخ ضعفا ورجل خذول الرِّجْل تخذله رجله من ضَعف أو عاهة أو سُكْر .

هو التغير الطارئ على الصوت القصبي (Bronchophonie) من جراء مروره عبر كتلة كثيفة مَرَضية ، فيزداد شدة ، وتصبح المقاطع الملفوظة أكثر وضوحاً .
أما الهَمْهَمَة فقد جاء في اللسان : الهَمْهَمَة الكلام الخفي ، وقيل الهَمْهَمَة ترداد الزئير في الصدر من الهم والحزن وقيل الهمهمة ترديد الصوت في الصدر .

٩٩٤٤ هَمْهَمَة ، علامة باتشلّي Pectoriloquie aphone, signe de Bacelli 9944

واهملت اللجنة ترجمة لفظة (Aphone) ودرجت على ترجمة هذه اللفظة بالتكلم الصدري المَهْموس أو اللاصوتي ، لأن العليل الذي تختبر فيه هذه الظاهرة يطلب إليه أن يردد بعض الكلمات همساً .

٩٩٦٤ داء الذُّرة ، حُصاف Pellagre 9964

والشائع تعريب هذه اللفظة بالبلاغرا ، وهو داء يتأتى عن عَوَز أحد الفيتامينات من مجموعة B (حمض نيكوتينيك Ac. nicotinique) ، وقد ظن فيما مضى بأنه ناجم عن اقتصار الغذاء على الذرة ، واحتواء هذه مادة تفضي الى الداء المذكور ، وثبت حدوثه من غير أكل الذرة والحرمان من الأغذية ذات المنشأ الحيواني . ويبدو بالتهاب الجلد في الأجزاء المكشوفة من البدن والمعرّضة لأشعة الشمس (اليدان والقدمان والوجه) مع التهاب اللسان والفم والاسهال وبعض الاضطرابات العصبية . أما الحُصاف [1] فلا أراه يفيد المعنى المطلوب .

(١) في اللسان : والحَصَف بَثْرٌ صغار يقيح ولا يعظم وربما خرج في مراقّ البطن أيام الحر (كذا) ، وقد حَصِف جلده بالكسر يحصَف حَصَفاً ، وقال ابوعبيد حَصِف يحصَف حَصَفاً وبَثِرَ وجهه يَبْثَرُ بَثَراً وقال الجوهري الحَصَف الجَرَب اليابس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

9994 Pepsine هَضْمِين ٩٩٩٤

وأرجح التعريب بپسين وقد أقره مجمع اللغة ·

9995 Peptone de caséine, هضمون الجُبْنين ، هضمون اللبن de lait ٩٩٩٥

وأرجح التعريب أيضاً فأقول : ببتون الكازيين وببتون اللبن ·

10033 Perte de connaissance فَقْد الشُّعور ١٠٠٣٣

ودرجت على ترجمتها بفقد الوعي ·

10039 Perfuser غَسَل ، سَكَب ١٠٠٣٩

10040 Perfusion injection continue غَسْل ، حَقْن مُتَواصِل ١٠٠٤٠

10041 Perfusion sanguine غسل الدم ، نَقْلُ دَمٍ مُتَواصِلٍ بالتسَلْسُل Transfusion continue goutte - à goutte ١٠٠٤١

ويعني بلفظة (Perfusion) إدخال أحد السوائل في الدورة الدموية عن طريق الوريد أو أحد النُسُج بحقن الشريان به · ولا أرى في كلمتي غسل وسكب الدلالة على المعنى المطلوب ، كما أن اللجنة سبق لها أن استعملت كلمة غَسْل في ترجمة (Lavage) (اللفظة ٧٧٧٠) وكلمة انسكاب ترجمة للفظة (Epanchement) (اللفظة ٥٠٢٥) ·

ويبدو أن كلمة سَيب [1] أقرب للدلالة على ما تقدم بأن يقال في ترجمة اللفظة الأولى سَابَ وسَيَّبَ ، وفي الثانية : السَّيب ، حقن متواصل · وفي الثالثة سَيبُ الدم ، نقل الدم المتواصل بالتسلسل ·

(١) في اللسان : والسَّيْب مصدر ساب الماءُ يَسيبُ سَيْباً جرى ·

١٠٠٥٣ مِقياس ساحة الصدر — 10053 Périmètre thoracique

وأرجح مِقياس محيط الصدر .

١٠٠٧٨ خُرَيطة (فُطور) — 10078 Périthèce, périthèque (Champignons)

ُطبة الزِّقاق حاملة الزِّقاق في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

١٠٠٧٩ صِفاق — 10079 Péritoine

وأرجح تعريب اللفظة بريطون ، وأقر مجمع اللغة بريتون ، وقد سبق لأطباء العرب أن استعملوها معربة ، وأن تخصص كلمة صِفاق ترجمة للفظة (Aponévrose) وقد أقرها مجمع اللغة أيضاً . وقد ذكر الشيخ الرئيس ابن سينا في قانونه [1] ما نصه : يجب أن تعلم أن على البطن بعد الجلد غشائين أحدهما يسمى الطاقي ويحوي الأمعاء ويسخنها بكثافته ودسومته ويحوي العضل والثاني وهو الباطن ويسمى باريطاون (كذا) ويسمى المدور الخ . أما المجوسي صاحب كامل الصناعة فقد ذكر تارة الصفاق بما يدل على البريطون (ومن هنا حصل الالتباس) وأخرى بما ينفي ذلك [2] . وأكبر الظن أن كلمة

(١) الكتاب الثالث من القانون الصفحة ٥٩٦ من طبعة رومية سنة ١٥٩٣ .

(٢) في كامل الصناعة للمجوسي قوله في الصفحة ٧٧ من الجزء الأول :
فأما الغشاء المعروف بالصفاق فهو ايضاً غشاء رقيق في قوام نسج العنكبوت موضـــوع تحت العضل التي على البطن من طرف الغضروف الذي على رأس المعدة الى عظم العانة وهذا الغشاء ممتد على جميع الأعضاء التي في البطن وهي المعدة والكبد والطحال والكليتان والمثانة والرحم والخ ،
وجاء في الصفحة ٣٨١ من الجزء نفسه ما نصه :
أما العلل العارضة لصفاق البطن فهو مايعرض له من الخرق والفتق والتخلخل فيعرض عنه خروج الثرب والأمعاء الى خارج الصفاق (كذا) الى مايلي عضل البطن وهذا الخرق والفتق بما كان فيما يلي السرة وما دونهـــا فيكون خروج الثرب أو المعي الى تلك الناحية ويكون شبيهاً بالورم ويقال لذلك فتق .

صِفاق قد استعملت مرادفة لغشاء [1] .

١٠٠٩٤ التهاب الصِفاق المُوضَّع Péritonite localisée 10094

وأرجح التهاب البريطون الموضعي أو المحلي .

١٠١١١ خُبث Perniciosité 10111

وأرجح وَبال [2] مخصصاً خبث ترجمة للفظة (Malignité) كما فعلته اللجنة في ترجمة هذه اللفظة (الرقم ٨٢١١) . وأقر مجمع اللغة في ترجمة (Anémie perniciense) أنيمية وبيلة .

١٠١١٩ استمرار مُحتظرب Persévération tonique 10119

ودرجت على ترجمة (tonique) بقُوِي باعتبار المُقوِّية (Tonicité) .

١٠١٢٧ خِفّة الوَزْن Perte de poids 10127

وأرجح نَقْص الوزن .

١٠١٣٢ تَضْلال Perversion 10132

http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠١٣٣ تضلال جِنسي ، عَهارة جنسية Perversion sexuelle 10133

وأرجح أن تترجم اللفظة الأولى بتحوّل والثانية تحوّل جنسي . إذ المقصود من اللفظة الفرنجية الميل الى الجنس المماثل عوضاً عن المغاير وهو الأمر الطبيعي

---

(١) في اللسان : وصِفاق البطن : الجلدة الباطنة التي تلي السواد سوادَ البطن وهو حيث ينقب البيطار من الدابة والجمع صُفُق لايكسّر على غير ذلك. وبعض يقول : جلد البطن كله صِفاق . ابن شميل : الصِّفاق مابين الجلد والمصْران وَمَراقُّ البطن : صِفاقه أجمع ماتحت الجلد منه الى سواد البطن قال : ومراقُّ البطن : كل مالم يشحن عليه عظم . وقال الأصمعي : الصِفاق الجلد الأسفل الذي دون الجلد الذي يُسْلخ ، فاذا سلخ المَسْك بقي ذلك مُمَسِّكَ البطن وهو الذي اذا انشقّ كان منه الفَتْق .

(٢) في اللسان : والوبيل من المرعى الوخيم . وَبُلَ المَرْتع وبالة ووَبالاً ووَبَلاً . وأرض وَبِيلة وخيمة المرتع وجمعها وُبُل .

أو ليس في هذا تحوّل من جنس الى آخر ؟ أما التضلال فهي كلمة لها معنى شامل لا ينبغي أن يخصص بالخلل النفساني المذكور .

10136 Pesanteur d'estomac ١٠١٣٦ ثقالة المَعِدَة

وأفضل ثِقَل المَعِدة .

10154 Petit mal ١٠١٥٤ صَرْعٌ خفيف

والشائع ترجمة اللفظة بالداء الصغير ، لأن مظاهره المرضية تختلف عن الصَرْع الصريح الذي يعرف بالداء الكبير (Grand mal) .

10181 Phanères , annexes de l'appareil tégumentaire ١٠١٨١ ظواهر جلدية ، ملحقات الجهاز الساتر أو الفارش

وأرجح بوارز الجلد جمع بارزة . وقد جاء في معجم الألفاظ النباتية للأمير مصطفى الشهابي : وهي البوارز كالشعر والريش والأظافر والأسنان وغيرها أي كل عضو يبرز خارج الجلد أو خارج الأغشية المخاطية . والفرنسية من كلمة يونانية معناها البارز أو الظاهر .

أما ظواهر جلدية فقد تلتبس بلفظة (Phenomènes cutanés) وقد ترجمت اللجنة (Phenomène) بظاهرة . أقول بوارز الجلد توابع اللُحُف ترجمة (Appareil tégumentaire) .

10205 Phéniqué, ée ١٠٢٠٥ فيني

وأرجح فنيكي بتعريب اللفظة كما هي .

10206 Phénomène affectif ١٠٢٠٦ حادثة انفعالية

10207 Phénomène d'atavisme ١٠٢٠٧ حادثة تأسل ، حادثة وراثة الأجداد

١٠٢٠٨ ظاهرة جيفية 10208 Phénomène cadavérique

ويرى هنا أن اللجنة ترجمت اللفظة (Phénomène) بحادثة تارة وبظاهرة أخرى ، وترجمت (Phénomologie) بمبحث الظواهر (اللفظة ١٠٢١٩) كما أن اللجنة ترجمت لفظة (Processus) بحادث (اللفظة ١٠٩٥٥) فالأفضل أن تكون ترجمة (Phénomène) ظاهرة ، فيقال في ترجمة اللفظة الأولى ظاهرة عاطفية [1] ، وفي الثانية ظاهرة تأسل (أو الوراثة الراجعة) .

١٠٢٠٩ حادثة فاقة أو نقص ، عرض فاقة 10209 Phénomène de carence ou déficitaire, Symptôme de carence

وأرجح أن يقال ظاهرة عوز [2] أو نقص ، عرض عوز .

١٠٢٣٧ رُعْب ، خوف شديد ، وجف 10237 Phobie, peur morbide

وأفق مجمع اللغة رَهْبَة .

١٠٢٥٠ خوف الضوء أو النور 10250 Photophobie

ودرجت على استعمال كراهة النور جريًا على استعمال طبي قديم ، وعندي أفضل من رهبة النور ، لأن ما يعتري العليل (المصاب بذات السحايا) هو تحاشي النور لا الرهبة منه ولا الخوف منه .

١٠٢٥٨ سُحاف ذريع 10258 Phtisie galopante

والشائع سل راكض .

(١) الصفحة ٣١١ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٦٣٣ من الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠٢٦٤ علم الغرائز ، علم وظائف الأعضاء Physiologie 10264

١٠٢٦٥ غريزي Physiologique 10265

وأرجح التعريب في اللفظتين : فالأولى فيزيولوجيا ما دامت الكلمة قد اتفقت على تعريب (Physique) بفيزياء ، والثانية فيزيولوجي . هذا وإن الغريزة سبق لجنة أن استعملتها ترجمة للفظة (Instinct) مع غطرة وسليقة .

١٠٢٦٧ انتفاخ الرحم ، أو تَطَبُّلها Physométrie 10267

وهو انتفاخها بالغاز .

١٠٢٩٤ أُمّ حنون Pie - mère 10294

والشائع الأم الرقيقة والأم الحنون وقد أقر مجمع اللغة الأخيرة .

١٠٣٠٢ صِباغ الشحم الملوّن Pigment lipochrome 10302

وأرجح صباغ الشحم أو الصباغ الشحمي ، وما يعنى به الأجسام الدهنية أو الشحمية الملوّنة شأن مُح البيض .

١٠٣١١ زُقَيْة كهرمائية Pile hydroélectrique 10311
(كهرباوية مائية)

١٠٣١٢ زُقَيْة جافة ، عنصر جاف Pile sèche élément sec 10312

والشائع ترجمة اللفظة بنابضة [1] وعمود ، والأفضل تعريبها بيل .

١٠٣٨١ هَرَعي ، اقناعي Pithiatique 10381

وأرجح امتثالي [2] .

---

(١) القطوف اليانعة في علم الطبيعة للمرحوم الدكتور محمد جميل الخاني .

(٢) الصفحة ٤٨١ من الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

10382 Pitressine, vasopressine ١٠٣٨٢ حاثّة نخامية خلفية ، ضاغطة العروق

وأرجح التعريب : بترسين وفازوبرسّين وأقر مجمع اللغة اللفظة الأولى .

10446 Plasma ١٠٤٤٦ هَيُولى

والشائع ترجمة اللفظة بالمُصَوِّرة . وأن اللجنة أطلقت هيولى على لفظة (Protoplasma) (اللفظة ١١٠٥٧) أيضاً .

10469 Pleurodynie, point de côté ١٠٤٦٩ جناب ، ألم جَنْبي

وأرجح الوَجَع الجانبي ، والألم الناخس . فقد عرفت اللفظة الفرنجية بأنها تدل على تناذر غامض السبب يمتاز بالبدء المفاجئ وبالألم الشديد الذي له مقره الغالب في جدار البطن وفي الأوراب ، كثيراً ما تصحبه حمى خفيفة[1] . مما يشير الى أن ليس لهذا التناذر صلة بغشاء الجنب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

10476 Plèvre ١٠٤٧٦ غِشاء الجَنْب

وأقر مجمع اللغة الجَنَبة ترجمة لهذه اللفظة .

10497 Pli de l'aine, pli inguinal ١٠٤٩٧ ثِني إربي ، ثِنْيٌ مَغْبِني ثِني رُفْغي

وأقر مجمع اللغة ثنية .

10515 Pneumatocèle tumeur gazeuse ١٠٥١٥ وَرَمُ الجُمْجُمَة الغازي ورم غازي

وأرجح الكيس الغازي والورم الغازي ، لأن تخصص الترجمة بورم الجمجمة الغازي . فقد جاء في معجم بلاكستون[2] في شرح هذه اللفظة :

(١) معجم بلاكستون (Blakiston's) في لفظة (Pleurodynia) .

(٢) Blakiston's, new Gould medical Dictionary .

كيس أو ورم يحوي غازاً وبخاصة الصَّفَن (كذ) المملوء بالغاز .

١٠٥٢١ تحجُّر الرئة ، استحجار الرئة — 10521 Pneumolithe, concrétions pierreuses du poumon

وأرجح حصاة الرئة ، الرواسب الحجرية في الرئة أو رواسب الرئة الحجرية ، لأنه يفهم من تحجر الرئة أن الرئة تحول الى مادة حجرية واستحجار الرئة كذلك ، بينما المقصود من هذه اللفظة هو تكوّن حصى أو حصاة في نسيج الرئة إثر الرواسب الكلسية المتكونة في صميمها .

١٠٥٣٢ ذاتُ رئة شاملة — 10532 Pneumonie massive

وأرجح ذات الرئة الكُتَلية . لأن الإصابة في هذا النوع من ذات الرئة إما أن تصيب أحد فصوص الرئة بكامله أو احدى الرئتين بكاملها . ولا أرى لفظة شاملة الدلالة على المعنى المطلوب .

١٠٥٣٤ ذات رئة بحُمة ، ذات رئة — 10534 Pneumonie à virus
(ابتدائية) غير راموزية — Pneumonie (primitive) atypique

ودرجت على ترجمة هذه المصطلحات بـ : ذات الرئة بالحُمة (الراشحة) ذات الرئة البدئية اللانموذجية .

١٠٥٣٦ ريح الصفاق — 10536 Pneumo - péritoine

وأرجح ريح البريطون (١) .

١٠٥٣٧ ريح مَصَلِيّة — 10537 Pneumo - séreuse

وأرجح ريح الجوف المصلي . لأن المقصود من هذه تسرب الغاز (وهو الهواء في الغالب) الى أحد الأجواف المصلية كجوف الجنب والتأمور والبريطون وغيره ، ولا أرى في ريح مصلية ما يدل على المعنى المطلوب .

(١) الصفحة ٢٨٨ من هذا العدد .

10538 Pneumothorax استرواح صدري ، ريح جنبية ١٠٥٣٨

والشائع هو الريح الصدرية فقط .

10539 Pneumothorax artificiel, opératoire ou thérapeu-tique, piézothérapie pul-monaire, méthode de Forlanini إِستِرْواحٌ صدري اصطناعي، بَضْعي أو علاجي، معالجة الرئة بالضغط طريقة فورلانيني ١٠٥٣٩

وأرجح في ترجمة هذه الألفاظ : ريح صدرية اصطناعية أو محدَثة ، بضعية أو علاجية ، المعالجة بخصص الرئة ، طريقة فورلانيني .

10553 Poids atomique وَزْن جَوْهري ١٠٥٥٣

وزن ذَرّي كما أقره مجمع اللغة وكما أصبح شائعاً .

10557 Poids moléculaire وزن ذَرّي ١٠٥٥٧

وزن جُزَيئي كما أقره مجمع اللغة .

10581 Points asthmogènes نِقاط باعثة الرَبو، مَبْعَث الربو ١٠٥٨١

ودرجت على ترجمتها بنقاط مُثيرة للربو .

10613 Polyarthrite التهاب مفاصل كثيرة ١٠٦١٣

ودرجت على ترجمتها بالتهاب المفاصل العديدة .

10614 Polyarhrite ankylosante, spondylose rhizomélique Spondylarthrite ankylosante التهابُ مفاصلَ جاسيء ، جُساة فِقار ، التهاب مفاصل الفقرات الجاسيء ١٠٦١٤

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Ankylose) بقَسط [1] وهو الشائع . وعليه أرجح

(١) الصفحة ٤٧٠ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

أن تكون ترجمة هذه المصطلحات : التهاب المفاصل القَسَطي ، الداء الفقاري وجذر الأطراف والتهاب مفاصل الفقار القَسَطي .

١٠٦٢٣ مُرَيْجل ، سَليلة — Polype 10623

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بوليب .

١٠٦٢٧ كثير الهَضْميد — Polypeptide 10627

وعربها مجمع اللغة بوليببتيد .

١٠٦٤٠ مَرْهَم كُحْل — Pomnade ophtalmique 10640

وأرجح مَرْهَم عيني .

١٠٦٧١ دِماغي مخيخي — Pontocérébelleux,se 10671

والصحيح جِسْري مخيخي . لأن النسبة في النصف الأول من هذه اللفظة تعود الى جسر فارول (Pont de Varole) .

١٠٧٤٩ مَكْنُون العَمَل التالي أو المتأخر — Potentiel d'action consécutif ou tardif 10749
(منحني المخطط التَوَساني) (courbe oscillographique)

والشائع في ترجمة (Potentiel) هو الكُمُون ، وجاء في بعض مقررات مجمع اللغة الجهد الكهربي . فتكون ترجمة المصطلحات السالفة : كُمُون العَمَل التالي أو المتأخر (منحني الاهتزاز) .

١٠٨٦٦ طليعة الخِزَب، خَزَب نسيجي — Préœdème, œdème histologique 10866

والمشهور هو طليعة الوَذَمة [1] ، وَذَمة نسيجية .

---

(١) الصفحة ١١٤ من الجزء الاول من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

10887 Presbyopie, presbytie ١٠٨٨٧ قَصُو البَصَر

وأقر مجمع اللغة الطَّرَح (طول النظر) .

10893 Présentation, position ١٠٨٩٣ مجيء أو اعتلان ،
(Obs.) وضع (قِبالة)

وأقر مجمع اللغة جِيئة . وقد عُرفت بظهور أول جزء يخرج به الجنين من الرحم عند بدء الولادة : تقول جيئة الرأس أو المقعدة أو الكتف .

10930 Primigeste ١٠٩٣٠ أوَّليَّة الحَمْل

وأقر مجمع اللغة : البِكريّة (الحامل لأول مرة) .

10931 Primipare ١٠٩٣١ بِكْر ، أوَّليَّة الولادة

وأقر مجمع اللغة : الجَليلة (المرأة التي تجت بطنًا واحداً) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

10939 Processus de déclenchement ١٠٩٣٩ فاتحة الانفكاك

10950 Processus d'évolution ١٠٩٥٠ حالة النمو أو التكامل

10951 Processus gommeuse ١٠٩٥١ حاله صمغية

10952 Processus de guérison ١٠٩٥٢ تطور أو سيرُ الشفا

ودرجت على ترجمة (Processus) في هذه المصطلحات وأضرابها بِحَدَث فأقول حدث الانفكاك وحدث التطور ، وحدث التصمغ وحَدَث الشفاء والخ .

10963 Prodrome, signe précurseur, ١٠٩٦٣ أمارة، علامة سابقة ،
avant - coureur, prémilinaire طليعة ، سوابق

وأفضل أن تكون ترجمة هذه اللفظات : عَرَض متقدم ، علامة سابقة ، مُخبِرَة ، بادئة (أو عَرَض بادئ) . وترك أمارة ترجمة للفظة (Stigmate) أما سوابق فينبغي تركها ترجمة للفظي (Anamnèse) و (Antécédents) شأن ما فعلته اللجنة في اللفظة ذات الرقم ٦٥٤ .

10964 Prodromique ١٠٩٦٤ أماري

وأرجح عَرَضي مخبر .

10988 Progérie, nanisme sénile ١٠٩٨٨ دَحْدَحة شَيْخوخِيَّة

وأهملت اللجنة ترجمة اللفظة الأصلية (Progérie) وهي الشيخوخة المبكرة ولفظة (Nanisme) سبق للجنة أن ترجمتها بالقَزَم (اللفظة ٨٩٩٥) وهي الشائعة ، لذا أرجح أن تكون ترجمة المصطلح : شيخوخة مبكرة وقَزَم شيخي أو شيخوخي .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

10989 Prognatisme ١٠٩٨٩ فَقَمٌ

ودرجت على ترجمة اللفظة بكَسَس[1] .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) في اللسان : ان يقصُر الحنك الأعلى عن الأسفل ، والكسَسَ ايضاً قِصَر الأسنان وصِغَرها ، وقيل هو خروج الأسنان السُّفلى مع الحنك الأسفل وتقاعس الأعلى . كَسَّ يَكَسّ كساً وهو أكَسّ وامرأة كسّاء الى ان قال والتكَسّس تكلف الكَسَس من غير خلقة .

التعريف والنقد

الإسلام في نظر الغرب

مجموعة مقالات لرجالات من العرب ومن الأجانب ، كتبها أصحابها باللغة الإنكليزية ، ونقلها الى العربية الدكتور إسحاق موسى الحسيني ، وعلق عليها بعض الحواشي الدكتور علي عبد الواحد وافي[1] .

يقول الناقل في أسباب نقله هذه المقالات : « يكاد اهتمام الغرب بالإسلام ، والعالم الإسلامي ـ في هذه الأيام ـ يبلغ حداً لا نظير له في التاريخ . ويرجع ذلك في الدرجة الأولى ، الى وقوع العالم الإسلامي من العالم موقع الحزام من وسط الإنسان . وهذا الموقع يشير إشارة بليغة إلى القيمة الحربية العامة ـ من حيث الخطط الحربية ، والقوى المائية ، والنفط وممكنات التطور الزراعي والصناعي ـ التي ينعم بها العالم الإسلامي لخيره أو لشره ، حسبما يختار زعماؤه الذين تقع عليهم التبعة » .

ثم يعود فيقول :

« ولست أود أن أعلق على هذا الكتاب بشيء ، فللقارئ أن يمعن النظر فيه ، ويكوّن رأيه الخاص . على أنني أرغب في ذكر الأسباب التي دعتني إلى ترجمته وهي ثلاثة :

الأول : حرصي على أن يطلع المسلمون في المشرق والمغرب على آراء طائفة من الباحثين الغربيين في الإسلام والمسلمين .

---

(١) وليت تعليقات الدكتور الوافي القيمة ، كانت أكثر مما كانت ولا سيما على الموضوعات التي تمس السياسة العربية ، والعدالة الإسلامية .

والثاني : أن أسترعي انتباه القراء الى أهمية العالم الإسلامي • هذه الأهمية البالغة التي أعتقد أن الخاصة التي يتكون منها الزعماء والقادة ورجال العلم والدين لم تحط بها ولم تدركها إدراكاً يتفق وخطرها •

والثالث : الإهابة بالباحثين من عرب ومسلمين ، إلى معالجة هذا الموضوع الجليل بأسلوب علمي رصين ، كي تكون الصورة المعروضة على الغرب أقرب إلى الصحة والصواب » •

ثم هو يعجب : « أن يغوص نفر من الباحثين الغربيين في جوهر الإسلام ، وفي قدس أقداس المسلمين ، وفي صميم حياتهم العقلية والروحية والاجتماعية • والباحثون المسلمون أنفسهم يعيشون على هامش الحياة لا يكادون يدركون خطر دينهم وبلادهم وشعوبهم ، وطبيعة المشاكل التي تواجهها بلادهم ، ومبلغ عناية الغرب والشرق بشؤونهم • لصالحهم أو لطالحهم على السواء • »

وينتهي من مقدمته إلى هذه الكلمة :

« وفي الكتاب آراء تستفز الشعور وتجانب الحق » •

نقول :

وقد صدق الناقل في ما قال إذ في الكتاب أشياء كثيرة من مجانبة الحق ، خيل الى أصحابها أنهم يخفونها بستار مموه من الإخلاص والتجرد • تحته الدس الديني [1] ، والدجل السياسي • وإن كنا لا نذكر أن في كثير من هذه المقالات

(١) مثلاً يرى فيليب . د . ايرلند في مقاله :

« مقابلة سطحية بين قواعد الاسلام وبين النظريات المادية والآراء الماركسية واللينينية والستالينية تكفي لاظهار المناقضة بين الاسلام والشيوعية . . . . . . » يرى هذا الرجل هذا : ولايرى في هذه السياسة الديمقراطية الكاذبة وما ترمي اليـه من استعباد المسلمين ، وسلب ثروتهم ، وتمزيق وحدتهم ، مايخالف الاسلام ويناقضه .
ويعود هذا الأميركي :
فينتقد فقدان المساواة التـامة في بعض بلدان الاسلام ، بين المسلمين وغيرهم ، ولاسيا الأجانب . وينسى الرجل ماعندهم من قيـود في الدين والجنسيات ، ومن تمييز عنصري في اللون والسحنات

- إلى جانب هذه الدسائس - شيئاً من الإنصاف ليس يُعهد بالغربيين مثله ، متى كتبوا عن الإسلام . وفيه نقد صريح صحيح لما هم عليه العرب والمسلمون من الجمود والركود . فمن القول الذي يدعو الى اليقظة والتأمل ، ما جاء في الصفحة الـ ١٨ من هذا الكتاب وهو من قول للدكتور حتي :

« ... إن التمييز بين الشرق الأدنى والغرب من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر ، كان مُصطنعاً أكثر منه حقيقياً . فقد كان لشعوب الغرب وشعوب الشرق الأدنى إلى مستهل القرن السادس عشر نظر واحد إلى الحياة . وفلسفة واحدة في الحياة ، واتجاه واحد ، وتخيل واحد . ولم يقع أي افتراق إلا بعد ذلك القرن . فسلك الغرب سبيل العلم والاختبار ، وظل الشرق راكداً . وأضحت عملية الآلة البخارية في القطار رمزاً إلى الغرب في حركته ، وعجلة المغزل ، أو عجلة مصنع الفخار ، رمزاً إلى الشرق في حركته . يدور حول نفسه ، ويظل مقيماً في مكانه » .

وإذا كان القول : ان الشرق والغرب كانا إلى مستهل القرن السادس عشر في وضع واحد - قولاً يقبل المناقشة ، فإن القول بحركة الغرب إلى الأمام - بعد ذلك القرن - وبجمود الشرق في مكانه قول لا يقبل جدلاً ولا نقاشاً .

ومن الرأي الصواب قول (دودج) :

« إن أيسر سبيل لأن يفهم الأمير كيون مشاكل الإسلام هو أن يدركوا أن تلك المشاكل تشبه مشاكلهم إلى حد كبير . فالاسلام في مواجهة العلم والتجدد لا تختلف قصته عن قصة المسيحية في مواجهتها التجدد والعلم .. »

على أني كنت أريد أن يقال هنا « المسلمون » و « المسيحيون » لا « الإسلام » و « المسيحية » فالدين من حيث هو أكان الإسلام أم النصرانية ، لا شأن له في مقاومة العلم والتجدد .

ولعل من مضحك القول أن يزعم « دودج » أن من متممات المدنية وضرورياتها

شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، وان هذا وأمثاله يحمل الأجيال الجديدة من المسلمين على إعادة تقويم الدين (كذا) (الصفحة الـ ٢٤) وقد رد الدكتور الناقل على هذا القول في حاشية الصفحة رداً حسناً . ومن الغريب أن يجعل بعض أصحاب المقالات من الحادث الفرد ، أو من أقوال بعض المغمورين ، حجة يؤيدون بها مزاعمهم الواهية !!

* * *

وعبارة الكتاب عبارة عربية صحيحة ، لولا بعض تجوزات وهفوات قد لا يبرأ منها كاتب ولا يخلو منها كتاب :

كاستعمال « الصالح » في مثل قوله (لصالح الجماعة) في محل (لمصلحة) . واستعماله « فهيناك » بإدخاله هاء التنبيه التي تستعمل للقريب على (هناك) وهي للدلالة على البعيد . وكتابته : الثقات ، جمع ثقة بالتاء المعقودة ولعلها من خطأ الطبع . وما أحببت له استعمال (الثوري) في النسبة إلى الثورة ، وقد كررها كثيراً وخير منهـا (الثوروي) وإن خالفت القاعدة ليكون ثمة فرق بين النسبة الى (الثور) والنسبة إلى (الثورة) ومثل هذا التفريق يحرص عليه العرب كثيراً ، ولا سيما في النسبة . ثم ان الدكتور الذي استساغ (الدنقلوي) نسبة إلى (دنقلة) يسعه أن يستيسغ (الثوروي) نسبة إلى الثورة .

ولا أحببت له استعمال (القروسطية) نسبة الى القرون الوسطى لثقلها ، لا لتركيبها ونحتها .

هذه ملاحظات دعت إليها رغبة المعرب في عروبة الألفاظ واختيار الصحيح الفصيح منها ، فهو يقول مثلاً : « القواعد الرئيسة » ـ وهو قول العرب الأقحاح ـ في حيث يقول غيره (القواعد الرئيسية) .

عارف النكدي

ديوان ابن الدمينة

صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب

بتحقيق أحمد راتب النفاخ

مكتبة دار العروبة (شارع الجمهورية بالقاهرة)

إن محقق هذا الديوان ممن عرفناه في كلية الآداب السورية من خيرة طلابها المجدّين والمولعين بالمطالعة واقتناء الكتب ، ثم ذهب الى جامعة القاهرة ، وجعل تحقيق هذا الديوان شطراً من رسالة تقدّم بها الى كلية الآداب لنيل الشهادة الوسطى (ماجستير) ، وتناول دراسته بابين تحدث في أولها عن مصادر ترجمة ابن الدمينة وقيمتها التاريخية ، وفي ثانيهما عن رواية شعر ابن الدمينة وتدوينه ، باحثاً عن تاريخ النسخة التي وصلت الينا من الديوان وقيمتها العلمية ، ونسبتها الى صانعيها ؛ ثم عرض شعره في كتب الأخبار والأدب واللغة والطبقات ، واستظهر من بعض القرائن أن شعر ابن الدمينة لم يصل الينا بتمامه ، وأن هنالك آفة أخرى ، وهي الاختلاف بين الرواة والمؤلفين في نسبة غير قليل من هذا الشعر ، حتى بلغت عدة من تنسب اليهم أبيات أو مقطعات منه زهاء سبعين شاعراً .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب دراسة مفيدة لأسباب اختلاط شعره بغيره ، وجعل موضوع الفصل الثالث أغراض ابن الدمينة الشعرية ومذاهبه فيها ، وأشار فيها الى قلة أغراضه والى غلبة النسيب عليه ، وان منه ما هو نسيب عـذري وهو الذي اختلط بغيره ، وما هو نسيب مشوب بوصف أهل البادية ، وقد ترسم ابن الدمينة فيه خُطَى ذي الرمة ، وجعل خاتمة المطاف الكلام على بعض عيوب القافية كالإقواء والإيطاء والتضمين .

ومن مظاهر عناية الأستاذ النفاخ في تحقيق الديوان تحقيقه للعصر الذي عاش فيه ، فناقش الآراء التاريخية المختلفة مناقشة معقولة ، وانتهى به القول الى أنه لم يكن شاعراً إسلامياً كما قال أبو عبيد البكري في لآليه ، أو من تابعه ، كما استبعد أن يكون من مخضرمي الدولتين كابن شاكر الكتبي ، وإلى أن الأشبه بالحق أن يكون شاعراً عباسياً محدثاً ؛ ومن مظاهر عنايته أيضاً تمحيصه لروايات قتل الشاعر ومكان قتله ، ثم أكدأن مصرعه انما كان في تبالة أو في العبلاء ، وانه لا تناقض بين القولين فان العبلاء من أرض تبالة ؛ ومنها بحثه عن أصول الديوان وتاريخها ، وعن النسخة الأم المحفوظة في مكتبة عاشر بتركية تحت رقم (٩٥٠) وعنوانها : ديوان شعر ابن الدمينة مع زياداته كلها ، رواية الزبير بن بكار ، وهي في قسمين الأول وهو الأكبر صنعة أبي العباس احمد بن يحيى ثعلب الشيباني (— ٢٩١ م) والآخر صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب (— ٢٤٥ م) وبحث الناشر عن نسبة كل من القسمين الى صانعه ، ومحص الشبه التي تحوم حول هذه النسبة تمحيصاً موفقاً .

غير أنه جاء في الصفحة ١٥١ من الديوان :

فإنك ان تخرتَ ولم تُصَدِّق حديثك آيةً للسائلينا

ولعل الصواب (آيةٌ) خبر لأن ؛

وفي ص ١٨٤ :

أحبك ياليلى على غير ريبة وما خير حبٍّ لا تَعَفُّ سرائره

والصواب (تَعِف) بكسر العين المهملة ، ففي المصباح المنير : عَفَّ عن الشيء يعف من باب ضرب .

وفي ص ١٨٧ :

أيا زينة الدنيا وما منتهى المنى   ويا أملي هل لي اليك سبيل ؟

والصواب الجليّ : (ويا منتهى المنى) ، ولا ينتبه الإنسان حين التصحيح الى مثل هذا ، لأنه يقرأ البيت من لوح حافظته صحيحاً ، ولا يَرى ما يقرأ ، مّا يبين أن على الناشر مهما كان حاذقاً في فنه أن يستعين بن يقرأ له التجربة الأولى ، والكمال كما يقال معجز ، ومع ذلك فإن العناية وبذل المجهود والاتقان الذي يبدو لعين المنصف مّا يشكر عليه محقق الديوان .

التنوخي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وأنباء

قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ٥٧ لسنة ١٩٦١

بشأن تعيين أعضاء لمجمع اللغة العربية

رئيس الجمهورية

بعد الإطلاع على قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ بإنشاء مجمع اللغة العربية بالجمهورية العربية المتحدة ،

قـــرر :

(المادة الاولى)

يعين عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية ممثلاً للبلاد العربية ، كل من :

الأستاذ أحمد عقيات اليمن

» الدكتور اسحاق الحسيني فلسطين

» أنيس المقدسي لبنان

» الدكتور عبد الله الطيب السودان

» عبد الله كنون المغرب

» علي الفقيه حسن ليبيا

» الدكتور عمر فروخ لبنان

» قدري حافظ طوقان الأردن

» محمد البشير الابراهيمي الجزائر

» محمد بهجة الأثري العراق

» محمد فاضل بن عاشور تونس

(المادة الثانية)

يعين عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية ، فرع القاهرة ، كل من :

الدكتور ابراهيم أنيس	عميد كلية دار العلوم
« ابراهيم عبد المجيد اللبان	العميد السابق لكلية دار العلوم
الأستاذ اسماعيل مظهر	المراقب السابق لمجمع اللغة العربية
« أمين الخولي	الأستاذ السابق بكلية الآداب بجامعة القاهرة
« عبد الحميد حسن	الوكيل السابق لكلية دار العلوم
« عبد الفتاح الصعيدي	المراقب السابق لمجمع اللغة العربية
الدكتور علي بدوي	الوزير السابق
« مراد كامل	الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة
« محمد عوض محمد	الوزير السابق
« محمد مهدي علام	عميد كلية آداب جامعة عين شمس

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

(المادة الثالثة)

يعين عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية ، فرع دمشق ، كل من :

الدكتور أمجد الطرابلسي	وزير التربية والتعليم بالإقليم الشمالي
« شكري فيصل	الأستاذ السابق بجامعة دمشق
الأستاذ محمد المبارك	عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق

(المادة الرابعة)

يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره .

صدر برياسة الجمهورية في ٢٨ شعبان سنة ١٣٨٠ (١٤ فبراير سنة ١٩٦١)

(جمال عبد الناصر)

صوغ «مَفْعَلَة» للدلالة على الفاعلية

نشر الأستاذ الفاضل الدكتور صلاح الدين الكواكبي في هذه المجلة (م ٣٦ ج ١) بحثاً بعنوان (الأوزان العربية في المصطلحات العلمية ـ ٣ ـ) اقترح فيه إقرار قياسية «مَفْعَلَة» للدلالة على الفاعلية . واحتج لاقتراحه بورود كلمات قديمة على وزن مفعلة بمعنى الفاعل مثل مجلبة الذي يجلب ، ومهلكة الذي يدعو الى الهلاك الخ .

وعلقت لجنة المجلة على الاقتراح (ص ٥٧) بقولها إن وزن مَفْعَلة بمعنى الفاعل لا يجوز اعتباره قياسياً ، ولا نص على قياسيته . ولنا عنه غنى باستعمال اسم الفاعل ، على ما ورد في المعجمات وفي كتب الطب القديمة ، أمثال المعرق والقابض والمسهل وأشباهها .

واعترض الدكتور الفاضل على ذلك بقوله إن اسم الفاعل مقصور على العاقل ، وإن القدماء خصوا غير العاقل بوزن مَفْعَلة فقالوا جالب ومَجْلبة ، ومُفسد ومَفْسدة ، وإن لكل من هذين الوزنين معنى خاصاً .

ثم بعث باقتراحه الى مجمع اللغة العربية في القاهرة ، فنظرت فيه لجنة الأصول وانتهت الى ما يأتي :

« قرر المجمع فيما سبق قياسية صوغ مَفْعَلَة من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه الأعيان ، سواء أكانت من الحيوان أم من النبات أم من الجماد .

« فاقتراح صوغ مفعلة لمعنى الفاعلية ـ الى جانب ما أصدره المجمع من قراره السابق ـ يوقع في اشتراك الدلالة لهذه الصيغة بين الفاعلية والمكان الذي يكثر فيه الشيء .

«على أن الدلالة على الفاعلية يغني فيها اسم الفاعل، والقول بقصر اسم الفاعل على العاقل وجعل «مفعلة» لغير العاقل قول لا مسوغ له، لأن اسم الفاعل للعاقل وغير العاقل على سواء.

«وفي قواعد اللغة صيغ أخرى للدلالة على الفاعلية، الى جانب اسم الفاعل، فهناك اسم الآلة، وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة.

«واذا عرض من المصطلحات ما لا تغني فيه إحدى هذه الصيغ لمعنى الفاعلية، ورئي أن صيغة «مَفْعَلة» أدق في الدلالة عليه بخصوصه، فلا مانع من نظر المجمع في المصطلح المقترح بهذه الصيغة.

«أما اتخاذ صوغ «مَفْعَلة» قاعدة عامة للدلالة على الفاعلية، فلا ترى اللجنة ضرورة لإطلاقه».

وقد وافق مؤتمر مجمع اللغة العربية على رأي لجنة الأصول، في جلسته المعقودة في الثاني من شباط «فبراير» سنة ١٩٦١، واتخذ فيه قراراً.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تصويبات

في «قواعد رسم الهمزة» المنشورة في الجزء الأول من هذا المجلد غلطتان مطبعيتان:

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
١٦٤	١١	قَرَوْءُو	قَرَوْءُوا
١٦٤	٢١	يَبْدَوْءُن	يَبْدَوْءُون

مصطفى الشهابي

تعليق على كتاب : الجاحظ

لصاحبه الدكتور : « شارل بلاّت »

أولعت بالجاحظ الولع الذي لا غاية بعده ، ولئن لم نجمع على أنه أعظم عبقري في أدبنا فاننا نجمع على أنه في مقدمة العبقريين وهذا ما يحملني على تتبع ما يتصل بالكلام عليه كلما وقع إليّ شيء من ذلك .

ألف أخيراً الدكتور « شارل بلأت » أحد أساتذة « السوربون » كتاباً سماه : الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ترجمه الدكتور ابراهيم الكيلاني وأهدى إليّ نسخة منه وقد عزمت على الاحتفاظ بهذا الكتاب ريثما أتمكن من قراءته على مهل ، إلاّ أني لا أدري كيف فتحته عرضاً فمررت بهذه العبارة في الصفحة العاشرة : « وهل من الملائم في الوضع الحالي للدراسات الجاحظية أن نفكر بدراسات شاملة لآثار الجاحظ الأدبية وتحليل أفكاره وعقيدته الاعتزالية ونظراته وملاحظاته والحكم على طريقته في التأليف وأسلوبه وفنه وتهكمه كما فعله أخيراً شاعران سوريان ؟ اننا نعتقد أن مثل هذا العمل سابق لأوانه ، وسيكون إذا تمّ ، سطحياً ... ثم قال :

ولكي ندعي فهم الجاحظ وتقديره حق قدره ولكي نصدر عليه حكماً خالياً من التعسف وبعبارة أخرى كيلا يكون عملنا التركيبي سطحياً يجب أن تطبع آثاره المخطوطة أو ذوات الطبعات السيئة حسب متطلبات الطريقة الحديثة ... »

ولم يذكر المؤلف في المتن اسم الشاعرين السوريين ، ولكني وجدت في الحاشية ذكرهما من قبل المترجم ، فالشاعران هما المرحوم خليل مردم بك وهذا العاجز ، وقد تحقق عندي أني أحد هذين الشاعرين من إشارة المؤلف الى عناوين بعض فصول من كتابي : الجاحظ معلّم العقل والأدب ، من هذه العناوين : أسلوبه ، فنه ، تهكمه .

يستنبط من هذا كله أن العمل الذي عمله وهو : كتاب الجاحظ ، سابق لأوانه بحسب رأي المؤلف ، وهذا هو اصطلاحه بعينه ، وأن هذا العمل « سطحي » وان أحكامي عليه لا تخلو من « التعسف » .

لم أطلع على كتاب الدكتور « بلاّت » بلغته الفرنسية ، فالعبارة التي أشرت اليها والعبارات التي سأشير اليها انما هي ترجمة المترجم .

لا ريب في أن الحكم الذي حكمه المؤلف على عملي كان له وقع في نفسي ، فالمؤلف أستاذ في « السوربون » وأنا أعرف ما لهذه الصفة من قيمة ، فاني أقدر الأستاذية حق قدرها وأجلّ أساتذة الجامعات كلّ الإجلال ، فقد شرّفني الله تعالى بهذه الأستاذية بعض السنين فعرفت قدرها .

من أجل هذا كله كان لحكم المؤلف وقع في نفسي حتى أني كدت أندم على تأليف كتابي : الجاحظ ، الذي استقبله بعض أساتذة « السوربون » في حينه أحسن استقبال والذي نوّهت به أكبر المجلات العربية وعلى رأسها مجلة مجمعنا ومجلة المقتطف فضلاً عن الصحف والرسائل الخاصة .

أجل كنت عازماً على إرجاء مطالعة كتاب : الجاحظ ، للدكتور « بلاّت » ولكني لمّا وقع نظري على العبارة التي ذكرتها أسرعت الى قراءته على أمل أن أقرأ كتاباً لأستاذ من أساتذة « السوربون » ليس فيه شيء من « السطحية » التي نبّه عليها ولا من التعسف الذي رمز اليه ، ولكني سرعان ما اهتديت الى أن المؤلف وقع في الذي أوقعني فيه ، ودخل عليه الضيم الذي أدخله عليّ ، فانه لم ينج من إصدار أحكام على لغة الجاحظ وتمكنه وعلى أشياء كثيرة تتعلق بالجاحظ ، فقد قال في الصفحة الثالثة :

« ولكن إذا وضعنا هذه الخاصية جانباً ظهر الجاحظ كمجدّد حقيقي يجيد استعمال اللغة بمهارة فائقة يجمع على ذلك أصدقاؤه وخصومه . »

هذا حكم ليس بقليل : الجاحظ مجدّد ، يجيد استعمال اللغة بمهارة ...

فكيف يجيز المؤلف لنفسه أن يصدر مثل هذا الحكم على الجاحظ ولا يجيز لغيره أن يصدر حكماً أدقّ على لغة الجاحظ ، وعلى تبحره في هذه اللغة ، وأن يدلّ على خصائص هذا التبحر ؟

ولم يكتف المؤلف بمثل هذا الحكم الخاص فإنه قد عمّم الحكم على الجاحظ في الصفحة الرابعة فقال :

« وقد استطاع مع ذلك ، أي الجاحظ ، في كثير من مؤلفاته أن يحتفظ باهتمام القارئ الى حدّ يجعل جميع آثاره تقرأ بلذّة على الرغم من الإعادات التي حاول تجنبها ، أو على الرغم من فقدان النهج المنطقي وتسلسل الأفكار والاستطرادات التي لا تحصى الخ ... »

فهذا حكم أعمّ من الأول ، فإن المؤلف يحكم على كثير من مؤلفات الجاحظ ، فلماذا يجد في حكم غيره « سطحية » ولا يجد مثل هذه « السطحية » في أحكامه ؟ لماذا لا يجد حكمه « سابقاً لأوانه » لماذا لا يجد « التعسف » في أحكامه ما دامت آثار الجاحظ المخطوطة لم تطبع كلها ؟

وكما حكم المؤلف على لغة الجاحظ وعلى كثير من مؤلفاته فقد حكم على تهكمه فقال في الصفحة السادسة :

« ولكن تهكمه هو من معدن يختلف عمّا ينسب اليه عادةً ... »

ثم قال في موضع آخر (٤٠٢) :

« ويظن أن تهكم الجاحظ ذاتي فإن ملاحظاته وتصويره عيوب معاصريه يجعلانه أقرب « الى لابروبير » و « موليير » منها الى غيره من كتّاب العربية ، وهذا ما يحملنا على اعتباره نسيج وحده في هذا الباب . »

فما قلناه في الاعتراض على الأحكام التي أصدرها المؤلف على لغة الجاحظ وعلى كثير من آثاره نقوله في الاعتراض على أحكامه على تهكم الجاحظ ؛

وهو لم يبيّن شيئاً من طبيعة هذا التهكم ، على أنه يعرف حق المعرفة وهو استاذ من أساتذة « السوربون » أن بعض التهكم من خصائصه الخبث ، وبعضه من خصائصه اللؤم ، وبعضه من خصائصه الوداعة وسلامة النية .

وقد يكون الحكم على أسلوب الجاحظ أدقّ من الحكم على لغته أو على تهكمه ، ومع هذا كله لم يتجنب المؤلف هذا الحكم الدقيق فقد قال في حق أسلوب الجاحظ (١٠١) :

« إن الجاحظ قد خلّد ذكره أسلوبه الكتابي الناصع الطريف » .

لقد حكم هذا الحكم ولم يبيّن شيئاً من نصاعة هذا الأسلوب ومن طرافته ، فلماذا يرى « السطحية » في عمل الذي وضّح خصائص أسلوب الجاحظ كل التوضيح ، ولا يرى مثل هذه « السطحية » ومثل هذا التعسف ، في حكم غامض عام لا يهتدي الى شيء من أسبابه ؟

وقد انتقل المؤلف بعد هذا كله من أحكامه الخاصة إلى أحكام أعمّ تشمل الجاحظ من أكثر نواحيه ، فحكم على أفكاره وأحاديثه وتكوينه العقلي والفكري والديني وعلى صوره وملاحظاته الدقيقة ، وكانت أحكامه في هذه الأمور كلها مختصرة ، غامضة ، عامّة ، ليس فيها شيء من التوضيح .

والذي نستغربه في كتاب الدكتور « بلاّت » أنه من جهة يطالب بدراسة شاملة لآثار الجاحظ ، المطبوع منها والمخطوط ، حتى يستطاع الحكم على الجاحظ ومن جهة يقول في بعض مواطن من كتابه في الصفحة الثانية :

« ولكن الآثار التي في حوزتنا لا تتمتع مع الأسف بضمانات كافية يعتمد عليها دون تحفظ ، ولذا أصبح لزاماً علينا الاكتفاء بما لدينا والعمل على إظهار طرافة الجاحظ بمقارنته بكتّاب وصلت الينا آثارهم المكتوبة . . »

فلو اقتصر المؤلف على هذا الرأي واكتفى بآثار الجاحظ المعروفة لكفانا مؤنة الأخذ والردّ في هذا الباب ، فإننا نستطيع أن نكتفي بهذه الآثار حتى

نصل الى أسرار عبقريته ؛ أمّا أن نهمل توضيح هذه العبقرية انتظاراً لظهور كتبه كلها ، ما عرف منها وما لم يعرف ، فلست أعلم قيمة رأي مثل هذا الرأي .
لقد حكمنا على المتنبي وعلى غيره من الشعراء استناداً الى ما وصل الينا من دواوينهم ، فهل كان يلزمنا أن ننتظر حتى يوم القيامة لنعرف دواوينهم كلّها المنشورة والمطوية ونحكم بعد هذه المعرفة على عبقريتهم ؟

فالمؤلف في هذا الأمر يقع في تناقض غريب ، فهو من ناحية يكتفي بآثار الجاحظ المطبوعه والمخطوطة للحكم على طرافته ، ومن ناحية ثانية يقول في الصفحة العاشرة :

« ولكي ندعي فهم الجاحظ وتقديره حق قدره » إلى آخر هذه العبارة التي تقدمت الإشارة اليها في صدر هذا المقال .

فاذا كان الأمر على نحو ما ذكر فلماذا حكم المؤلف على الجاحظ قبل أن تُطبع آثاره كلها أو قبل أن يجود طبع ما طبع منها ؟ أفلا يجوز لنا في مثل هذه الحال أن نعيبه بمثل ما عاب به غيره وأن نردّ عليه سلاحه نفسه ؟

لقد أشار المؤلف في أول سطر من مقدمة كتابه الى صحبته لآثار الجاحظ دهراً طويلاً ، والى الفته الوثيقة لهذا الكاتب الأصيل ، ويظهر أن هذه الصحبة الطويلة قد لبكته كثيراً حتى كاد يضيع في الكلام على الجاحظ .

لا ريب في أن الدكتور « بلاّت » قد فصّل في كتابه الكلام على أمور كثيرة تتصل بوطن الجاحظ وبأسرته وبالعناصر الروحية والفكرية التي عملت على تكوينه ، وتكلم على البيئات الدينية والأدبية والسياسية والاجتماعية في عصره ، فمن الإنصاف أن نعترف بأنا قد نهتدي في هذه التفصيلات كلها الى كثير من الفوائد ؛ فقد تكون هذه التفصيلات بمثابة ضياء ملقى على ظلمات العصر الذي عاش فيه الجاحظ ، ولكنّا نرى على الرغم من هذا كله أن

المؤلف مثله في كتابه كمثل دليل يأخذ بيدك ويذهب بك الى غابة ملتفة الاشجار ليريك الأسد في هذه الغابة وليعرّفك بهيئته وبكل ما يتصل به ، فاذا أدخلك الغابة وصف لك أشجارها التي يستظل بها الأسد ، وحيوانها الذي يأكله ، حتى إذا قرب من الأسد قال لك من بعيد : هذا هو الأسد ، ثم فرّ من وجهه وعاد الى وصف الغابة وما تشتمل عليه من دوح وحيوان الى أن تخرج من الغابة وقد أحطت بكثير من أمورها وأعوزتك الإحاطة بالأسد نفسه حتى تعرف هيئته وكل ما يتعلق به . . فالكتاب الذي عمله الدكتور « بلاّت » اسمه : الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء ، وفيه أشياء كثيرة تتصل بما يحيط بالجاحظ ، أمّا الجاحظ نفسه فلا تكاد تعرف معرفة كثيرة عن أسرار عبقريته ، لقد وقفنا على أشياء كثيرة لها صلة بالجاحظ ، ولكننا كنّا نفضل أن نرى الجاحظ ماثلاً نصب أعيننا في علمه وفلسفته وفنه ، كنّا نفضّل أن نراه صريحاً كاملاً على أن نراه مبعثراً في أضعاف الكتاب في أسطر قليلة لا تنقع الغليل .

لم نشأ أن نأتي في هذا المقال الوجيز على ذكر كل ما عنّ لنا من الآراء في مطالعة كتاب الجاحظ للدكتور « بلاّت » فان عملاً مثل هذا العمل يحتاج الى مقال طويل ، فقد يصدر في بعض الأحيان أحكاماً لا يؤيدها ببرهان ، فكأنه يحاول أن يخالف أكثر الذين ألفوا كتباً في الجاحظ حتى يوهم الناس أن كتابه هو الفريد في بابه ، الأصيل في موضوعه ، وهذا هو موطن الضعف فيه .

شفيق جبري

استدراك وتعليق

ونظرة إلى تاريخ بني العباس

- ٢ -

الرشيد : ولادته سنة ١٤٨ خلافته سنة ١٧٠ (٧٨٦ م) ووفاته سنة ١٩٣ (٨٠٩ م) .

مما رُوي له : قوله في جارية كان مغرماً بها ، فحلف أن لا يدخل إليها أياماً . ومضت الأيام ولم تسترضه :

صــدَّ عني إذ رآني مفتتَنْ وأطال الصبرَ لما أن فطَن
كان مملوكي فأضحى مالكي إن هذا من أعاجيب الزمن

ثم أحضر أبا العتاهية . وقال له : أجزهما ! فقال :

عِزة الحب أرتـــه ذِلتي في هواه وله وجه حسن
فلهذا صرت مملوكاً لـــه ولهذا شاع ما بي وعلَن

وبينا أبي العتاهية وهو الشاعر ، ليسا بأعلى طبقةً ولا حوكا ، ولا هما بأصلح من بيتي الرشيد ، وهو الخليفة الناهي عن قول الشعر .

ومما أورده الصولي للرشيد في رثاء جاريته هيلانة :

قاسيتُ أوجاعاً وأحزانــا لما استخص الموتُ هيلانا
فارقتُ عيشي حين فارقتها فما أُبالي كيف مـا كانا

كانت هي الدنيا فلما ثوت في قبرهـــا فارقت دنيانا
قـــد كثُر الناس ولكنني لست أرى بعدَكِ إنسانا
والله لا انساكِ ما حرّكت ريحٌ بأعلى نجـدَ أغصانا

الرشيد الذي كان يغزو عاماً ، ويحج عاماً ، حتى قيل فيه :

ومن يبتغي لقاءك أو يرده ففي الحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو على طِمرٍّ وفي أرض البرية فوق كور

والذي كان إذا نظر إلى الغمامة قال لها : امطري حيث شئت فخراجك يأتيني .

هذا الخليفـة الكبير العظيم ، يقاسي الأوجاع والأحزان ، ويزعم أنه فارق عيشه ودنياه لفراق هيلانة ، وأنه لا يرى بعدها إنسانا ! . . .

فإن كان جاداً في قوله ، فيا ويل دولته من حبه ، وإن كان هاذلاً فيا ويل الشعر من نظمه .

ومن هذه البضاعة الشعرية . . . ما أورده له الصولي أيضاً :

يا ربـــة المنزل بالفرك وربـــة السلطان والملك
ترفقي بالله في قتلنـــا لسنـا من الديلم والترك

بلى ! لقد كان أليق بمنزلة الرشيد وبعلو شأنه ، وعظمة سلطانه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأحرى بعلمه وأدبه ، وتذوقه للشعر[1] أن لا يقول هذا ، وأن لا ينسب مثله إليه . فهو لا يضيره أن لا يقول الشعر ، كما يضيره ان يكون هذا شعره .

ولما دنت من الرشيد الوفاة ، غشي عليه . ثم أفاق فرأى الفضل ابن الربيع على رأسه . فقال : يا فضل !

أحين دنا ما كنت أخشى دنوه ... رمتني عيون الناس من كل جانب
فأصبحت مرحوماً وكنت محسَّداً ... فصبراً على مكروه مرّ العواقب
سأبكي على الوصل الذي كان بيننا ... وأندب أيام السرور الذواهب

فإذا كانت هذه الأبيات له ، ففيها شيء من التعويض عن ربة المنزل بالفرك وإن كانت استشهاداً ، فقد وفق الى حسن الاختيار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★★★

(١) كان الرشيد يستحسن الشعر ويستنشده . وكان إذا سمع مرثية التيمي في يزيد بن مزيد الشيباني بكى .

وهي الدالية المشهورة ومطلعها :

أحقاً إنه اودى يزيد ... تبيَّنْ ايها الناعي المُشيد
أتدري من نعيت وكيف فاهت ... به شفتاك كان بها الصعيد

الأمين : (١) ولادته سنة ١٧٠ خلافتـــه ١٩٣ — مقتله ١٩٨ (٨١٣ م) .

---

(١) كان الأمين ذا قوة وبطش ، وشجاعة وفصاحة ، وبلاغة وأدب غير أنه كان سيء التدبير ، ضعيف الرأي أرعن . غلب عليه الهوى واللعب . لا يصلح للامارة . ولما قتل رثاه كثيرون ، بما لم يُرث به خليفة وهجاه بعضهم ، ومما قيل في هجائه :

لا نبكّيك ! لماذا ؟ للطرب ؟ يا أبا موسى وترويج اللعب ؟
ولترك الخمس في أوقاتهـــا حرَصاً (كذا) منك على ماءالعنب
وشنيف أنا لا أبكي له وعلى كوثر لا اخشى العطب
لم تكن تصلح للمُلك ولم تُعطك الطاعةَ بالمُلك العرب
لا نبكّيك وقد عرضتنا للمجانيـــق وطورا للسلب

قيل : لما ملك الأمين ، وجه الى البلدان في طلب الملهين ، فضمهم إليه ، وأجرى عليهم الأرزاق ، واحتجب عن إخوته وأهل بيته وأمرائه واستخف بهم ، وقسم الأموال والجواهر في خواصه ، وفي الخصيان والنساء . واقتنى السباع والوحوش والطيور . وبنى قصوراً للهو . وأجاز من غنى له :

وصلتك حتى قلتِ لا يعرف القِلى وزرتك حتى قلت ليس له صبر

بملء زورقه ذهباً . وعمل خمس حراقات على صورة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس . أنفق في عملها مالاً عظيماً . وصفها أبو نواس في شعره فقال :

—

أنشد له الصولي أبياتاً يخاطب بها أخاه المأمون ويعيره بأمه مراجل وهي أم ولد . لما بلغه عنه أنه يعدد مثالبه ، ويفضل نفسه عليه .

لا تفخرنَّ ! عليك بعدُ بقيةٌ ... والفخر يكمُل للفتى المتكامل

واذا تطاولت الرجال بفضلها ... فاربعْ فانك لست بالمتطاول

أعطاك ربك ما هويت وإنما ... تلقى خلاف هواك عند مراجل

— سخّر الله للأمين مطايا ... لم تسخر لصاحب المحراب

فإذا ما ركابه سرن برّاً ... سار في الماء راكباً ليث غاب

أسدًا باسطاً ذراعيه يعدو ... أهرتَ الشدق كالحَ الأنياب

لا يعانيه باللجام ولا بالسوط لا (م) ولا غمز رجله في الركاب

عجب الناس إذ رأوه على صورة ليث يمر مرّ السحاب

سبحوا اذ رأوك مرت عليه ... كيف لو أبصروك فوق العقاب

ذات زور ومنسر وجناحين تشق العُباب بعد العباب

تسبق الطير في السماء اذا ما استعجلوها بجيئة وذهاب

بارك الله للأمين وابقــاه ... وأبقى له رداء الشباب

ملك تقصر المدائح عنه ... هاشميٌّ موفق للصواب

وهذا شعر رائق ، ووصف رائع ، ومدح يقيد الهاشمي بأن يكون موفقاً للصواب ، وبلغة اليوم غير واقع تحت سلطان الانتداب . ولم يوفق الأمين للصواب فجرى عليه ما جرى من العقاب .

وصدق فيه وصفه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعلو المنابر كل يوم آملاً ما لست من بعدي اليه بواصل
فتعيب من يعلو عليك بفضله وتعيد في حقي مقال الباطل

وهذا من حيث هو شعر طبقة رفيعة .

يقول السيوطي : هذا نظم عالٍ إن كان له ، فهو أحسن من نظم أخيه وأبيه .

وقال الصولي : ومما رواه جماعة له في خادمه كوثر – وقد سقاه وهو على بساط نرجس والبدر قد طلع – ورواه بعضهم للحسين ابن الضحاك الخليع – وكان نديمه لا يفارقه .

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت أني – وما أراكا – أراكا
وإذا ما تنفس النرجسُ الغضُّ توهمتــــه نسيم سناكا
خدَع للمُنى تعللني فيك بإشراق ذا ونكهة ذاكا
لأقيمن ما حييت على الشكر لهـــذا وذاك إذ حيّاكا

وهذه الأبيات أقرب أن تكون للخليع الشاعر ، منها للخليع الخليفة . وللأمين في خادمه كوثر :

ما يريد الناس من صب بمن يهـــوى كئيب
كوثر ديني ودنيـــايَ وسقمي وطبيــــبي
أعجز الناس الذي يلحى محبــاً في حبيب

حدّث محمد بن عمرو الرومي . قال : خرج كوثر خادم الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رجة في وجهه . فجعل الأمين يمسح الدم عن وجهه . ثم قال :

ضربوا قُرة عيني ومن أجلي ضربوه
أخذ الله لقلبي من أُناس حرقوه

ولم يقدر على زيادة . فأحضر عبد الله بن التيمي وقال له : قُلْ عليها . فقال :

ما لمن أهوى شبيهُ فبه الدنيا تتيهُ
وصله حلو ولكن هجره مرٌّ كريه
من رأى الناس له الفضل عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القائمَ بالملك أخوه[1]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) قالوا : فأوقر له الأمين ثلاث بغال دراهم .

فلما قتل الأمين ، جاء التيمي الى المأمون ، وامتدحه . فلم يأذن له فالتجأ الى الفضل بن سهل ، فأوصله الى المأمون . فلما سلم عليه . قال : هيه يا تيمي :

مثل ما قد حسد القائمَ بالملك أخوه !!

قال التيمي :

نُصر المأمونُ عبدُ الله لما ظلموه
نقضوا العهد الذي قد كان قِدماً أكّدوه
لم يعامله أخوه بالذي أوصى أبوه

فعفا عنه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم

قالوا : ولما يئس من الملك ، وعلا عليه طاهر [١] . قال :

يا نفسِ قد حق الحذر — أين المفر من القدر
كل امرىء مما يخاف — ويرتجيه على خطر
من يرتشف صفو الزمان — يغص يوماً بالكدر

---

(١) قال أسد بن يزيد بن يزيد : بعث إلي الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة الأنباري . فلما دخلت عليه ، وجدته قاعداً في صحن داره ، وفي يده رقعة قد قرأها ، واحمرت عيناه ، واشتد غضبه وهو يقول : ينام نوم الظربان ، وينتبه انتباه الذئب . يقاتل الرعاء ، والكلاب ترصده . لا يفكر في زوال نعمة ، ولا يروى في إمضاء رأي ولا مكيدة . همه بطنه . قد ألهاه كأسه ، وشغله قدحه ، فهو يجري في لهوه ، والأيام تضرع في هلاكه . قد شمّر له عبد الله (يريد المأمون) عن ساقه ، وفوّق له أصوب أسهمه ، يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ ، والموت القاصد . وقد عبّى له المنايا على ظهور الخيل ، وناط له البلاء على أسنة الرماح وشفار السيوف .

ثم استرجع وتمثل بشعر البَعيث .

ومجدولة جدل العِنان خريدة — لها شَعَر جعد ووجه مقسم

الى أن يقول :

أباكرها صهباء كالمسك ريحها — لها أرج في دنها حين يوسم
فشتان ما بيني وبين ابن خالد — أمية في الرزق الذي الله يقسم

قال أسد : ثم التفت الي وقال :

يا أبا الحارث أنا وإياك لنجري إلى غاية . إن قصّرنا عنها ذُممنا ، وإن اجتهدنا في بلوغها انقطعنا . وإنما نحن شُعب من أصل ، إن قوي قوينا ، وإن —

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال وقد اشتد عليه الأمر « وددت أن الله قتل الفريقين جميعاً . فما منهم إلا عدو : مَن معي ، ومن علي . أما هؤلاء فيريدون مالى ، وأما أولئك فيريدون نفسي .

تفرقوا ودعوني يا معشر الإخوان
فكلكم ذو وجوه كثيرة الألوان
وما أرى غير افك وترهات الأماني
ولست أملك شيئاً فسائلوا خزاني
فالويل مما دهاني من نازل البستان

ARCHIVE

ـــ ضعف ضعفنا . إن هذا قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء . يشاور النساء ويعتزم على الرؤيا . وقد أمكن بامعه ، من معه من أهل اللهو والجسارة ، فهم يعدونه الظفر ، ويمنونه عقب الأيام . والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل . وقد خشيت والله أن نهلك بهلاكه ونعطب بعطبه .

وبما قالوا فيه : وجعلوه حلماً رأته أمه زبيدة في منامها . . .

« كأن أربع نسوة وقفن حوله . فقالت التي أمامه : ملك قليل العمر . عظيم الكبر . ضيّق الصدر . واهي الامر . كبير الوزر . شديد الغدر .

وقالت التي من ورائه : ملك قصّاف ، مبذر متلاف . قليل الإنصاف . كثير الإسراف .

وقالت التي عن يمينه : ملك عظيم الطخم . قليل الحلم . كثير الإثم . قطوع للرحم . وقالت التي عن يساره : ملك غدّار . كثير العثار ، سريع الدمار ...

وهذه الأبيات ، وإن صدقت في وصف حاله فما نظنها له ، فهي دون شعره ويزيدها بعداً عن أن تنسب إليه ، ما فيها من « يا معشر الإخوان » تعبير لا يليق أن يصدر عن خليفة في مخاطبة حاشيته وخدمه ، وحالهم حالهم وليست الحالة التي انتهى إليها ، بالحال التي يتسع معها في تلك الساعة قول الشعر .

(لها تابع) عارف النكدي

ARCHIVE http://Archive.Sakhrit.com

ملاحظة

ورد إلينا من بودابست من الأستاذ موكتار (Muktar. A. M.) الملاحظة التالية :

بمناسبة صدور الجزء الرابع من المجلد (٣٥) من مجلة المجمع الموقر وجدت بعض التصويبات منها :

ورد في مقال الأستاذ حسين نصار عن كتب النبات ص ٥٨٣ بالسطر (٢٢) : « ثم حتى يبلغ وادي طيب بقرب مصر . . . » والصحيح أنه « وادي هبيب » وهو واد عامر ورد ذكره كثيراً في كتب الفتوح ومنها ابن عبد الحكم . . . وقد ذكره كل من حنا النيقوسي وساويرس الاشموني .

كلمة الأمير جعفر الحسني (١)

سيدي الرئيس ، سادتي :

من تقاليد المجامع اللغوية والعلمية في العالم أن يحتفل المجمعيون باستقبال زملائهم الجدد في حفل جامع ، لا للتعريف بهم ، لأن شهرتهم تكون قد سبقت انضمامهم الى من يسمونهم بالخالدين ، بل هي سُنَّة مستحبة اتبعوها ، ووجدوها فرصة يتلاقى فيها أعضاء المجمع وجمهور الأدباء والمتأدبين ليشتركوا في تكريم العلماء العاملين .

وهذه المناسبة التي التقينا فيها تجمع في مغزاها النقيضين : الأسى والعزاء ، فهي تثير في نفوسنا الحزن لفقد زميل عزيز ، كما تغمر قلوبنا غبطةً وسروراً باستقبال خلف له يواصل تأدية رسالته ، ويشارك أعضاء مجمعنا في أعمالهم الرامية الى إعلاء شأن لغة الضاد ، ونشر الثقافة العربية ودعمها . ونرجو الله أن لا تتلاحق هذه المناسبات ، وإن يكن تقدم السن واقتراب الأجل من خصائص المجمعيين في العالم .

أما أنت أيها الزميل الكريم فقد اختارني الرفاق في المجمع لاستقبالك في هذه الجلسة ، فأكرم بها من مهمة محببة الى القلب ، ألتقي فيها بصديق قديم وأرحب بزميل جديد ، وأعرب عن غبطة الأساتذة زملائك في انضمامك اليهم ، لما عهدوه فيك من علم ومن إخلاص للعلم . فأهلاً بك من قادم ، تعقد عليه الآمال في خدمة أغراض المجمع . لقد حللت يا صديقي بين اخوان عرفوك فأحبوك ، ولمسوا فضلك فقدروك وكرموك .

---

(١) الكلمة التي ألقاها الأمير جعفر الحسني في جلسة استقبال العضو العامل الجديد الدكتور عدنان الخطيب في يوم الخميس الواقع في ١ من كانون الأول سنة ١٩٦٠

عرفتك وعاشرتك طويلاً ، وعرفك غيري أديباً عاملاً متواضعاً ، صادقاً في أقوالك ، مخلصاً في أعمالك ، لم يجد الغرور والمغريات الى نفسك سبيلاً ، متحلياً بإباء العلماء العازفين عن الشهرة ، الزاهدين في المديح وأهله . ومن كان مثلك قد عرّفت به آثاره لا يحتاج الى تعريف .

واذا كان امتداح ذوي السلطان نوافل تطغى عليها في أكثر الأحيان مسحة من الرياء ، فان الثناء على العلماء الذين سلطانهم علمهم يفرضه واجب التكريم للعلم ، فيصدر من قلوب عامرة بالصدق والايمان ، والسكوت في معرض الكلام جحود . إنك منحت مواطنيك أثمن ما ادخرت ، فحق علينا اليوم أن نبادلك الجميل بمثله ، ولكن أنّى للمعسر مثلي أن يبذل والمقل أن يجود ، ولذا رأيتني أكتفي بالتلميح عن التصريح .

لقد حالفك التقدير منذ نعومة أظفارك ، عندما كنت على مقعد الدراسة ، إذ توسم فيك أستاذك المرحوم محمد البزم عضو مجمعنا الراحل ، النباهة والنجابة ، فكتب في سجلك المدرسي : « أخلاق تسامت النجوم ، وذكاء كانتقاد الفراقد ، وسرعة خاطر وفطنة ، واجتهاد يدل على أنه سيكون من النابغين النابهين » . أفلا يحق لك أيها الزميل الجديد أن تعتز بشهادة أديب حكيم ، وأستاذ لغوي كبير ، يبذل الثناء جزافاً ، ولا يطلق حكمه إلا بالقسطاس المستقيم . ونحمد الله على أنك حققت فراسة أستاذك فيك ، فاذا بك تصبح في العلوم الحقوقية ومصطلحاتها من خدام ثقافتنا البارزين .

سادتي :

لم يكن زميلنا الذي نستقبله غريباً عن مجمعنا ، فقد عرفه المجمع منذ عام ١٩٤٣ محاضراً في هذه الردهة ، يلقي فيها نتائج بحثه في الاصلاح التشريعي في سورية ، وفي تاريخ العقوبة في العالم ، وكذلك عرفته البيئات العلمية ببحوثه

الأدبية والقانونية التي تنشرها له دور الطباعة والصحف والمجلات العربيــة ، وكلها تنم على دقة في البحث ، ونضج في التفكير .

تلقى علوم اللغة والفقه على بعض الأجلاء من علماء دمشق ، وتابع تحصيله الثانوي في مدرسة التجهيز الرسمية ، وأتم تحصيله الجامعي في كلية بغداد ، درس فيها العلوم المالية والقانونية ، وحاز الاجازة فيها برتبة الشرف الأولى . ثم نال سنة ١٩٤٧ شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريز .

ومارس المحاماة زمناً ، فكان من العاملين في المؤتمر الأول للمحامين العرب ، وألقى فيه محاضرة قيمة في المصطلحات القانونية في الدول العربية ، كان لها أثر عميق في نفوس المؤتمرين والمشتغلين بالعلوم القانونية .

وفي سنة ١٩٤٥ ولي القضاء ، وتدرج في مناصبه حتى أصبح سنة ١٩٥٣ مستشاراً في محكمة استئناف دمشق ، ثم عين سنة ١٩٥٤ نائباً عاماً في الدائرة القانونية في وزارة العدل السورية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي أعقاب النهضة التشريعية التي قامت في سورية سنة ١٩٤٩ ، ابتدأ الدكتور الخطيب في شرح القوانين الجزائية الجديدة ، فألف في ذلك كتباً نشر أولها سنة ١٩٥٠ باسم (شرح قانون العقوبات) ، وقد أثنت الحكومة السورية يوم ذاك على جهوده في هذا الشرح ، ومنحته وسام الاستحقاق السوري تقديراً له . وجاء في كتاب رئيس الحكومة الى وزير العدل بصدد المؤلف المذكور ما يلي : «لقد اطلعنا على هذا الكتاب ، فأحطنا بما بذله المؤلف من جهود ثمينة حرية بالثناء والشكر ، لذلك نرى أن تتفضلوا بالإعراب له عن تقدير الحكومة لهذا الأثر ، آملين أن يعمد القضـاة الى التأليف والنشر لجعل الموضوعات الحقوقية في متناول الجمهور المثقف» .

وتابع الدكتور الخطيب نشر مؤلفاته القانونية منذ سنة ١٩٥١ كان في

مقدمتها كتابه بعنوان (لغة القانون في الدول العربية) نقد فيه لغة واضعي القوانين في تلك الدول ، وقلة اهتمامهم بمصطلحاتها الصحيحة ، وذكر ما ينشأ عن ذلك من أضرار ، ودعا الى ضرورة توحيد المصطلحات القانونية ، والعناية بلغة التشريع والقضاء ، وقد كان لهذا الكتاب صداه العميق في دوائر جامعة الدول العربية ، ولدى المشرعين ورجال القانون في جميع البلاد العربية .

ومنذ عام ١٩٥٤ كلف الأستاذ الخطيب بالتدريس في كليتي الحقوق والشريعة في جامعة دمشق ، فدرّس فيها الاجراءآت الجزائية والمدنيه ، والقانون الجزائي ، والقانون الدولي ، كما كلف بالقاء محاضرات في معهد الدراسات العالية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة .

وانتخب بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية عضواً في اللجان المشتركة لتوحيد القوانين في اقليمي الجمهورية ، وعين في مستهل عام ١٩٥٩ في منصبه الحالي مستشاراً في مجلس الدولة للجمهورية العربية المتحدة ، واختاره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية مقرراً لجنة القانون والعلوم السياسية في الاقليم الشمالي ، وانتهى به المطاف ، قبل أن يكتهل ، الى هذا المجمع ، الذي لا يلج المرشح بابه إلا بعد أن يمتحنه أعضاء المجمع امتحاناً عسيراً ، هو وسائر المرشحين .

وذكرت أنه منذ نحو عشر سنين ، تمنى أحد رؤساء الحكومة السورية على القضاة ورجال القانون ، أن يؤلفوا كتباً ورسائل في موضوعات اختصاصهم وأن ينشروها لتنمية الثقافة الحقوقية بين أفراد الشعب ، ولم يستجب لهذا النداء إلا نفر قليل منهم ، وقد يكون لهم عذرهم ، لأن مهامهم القضائية متعبة ، قلما تتفسح معها القرائح للتأليف ، ولكن الدكتور الخطيب ، كان أحد من لبوا هذا النداء ، وكان من المبرزين بين هذه القلة ، ولعله كان أخصبهم انتاجاً ،

فقد رزقه الله نشاطاً وحماساً في وضع عدة مؤلفات قانونية وتاريخية وأدبية ، صدر منها حتى الآن عشرة كتب تشتمل على دراسات عميقة نذكر منها :

١ — لغة القانون في الدول العربية .

٢ — شرح قانون العقوبات ، في جزأين .

٣ — الوجيز في شرح المبادئ العامة في قانون العقوبات ، في جزأين .

٤ — المسؤولية الجزائية في قانون العقوبات السوري .

٥ — النظرية العامة للجريمة .

٦ — الوجيز في أصول المحاكمات .

٧ — تطور العقوبة والعقوبات عند البدو .

٨ — المبادئ العامة في قانون العقوبات الجديد .

والذين اطلعوا على كتبه ، ودققوا في صحة جملها وسلاستها ، وما اشتملت عليه من مصطلحات شرعية دقيقة يدركون أن امتحان الأستاذ الخطيب في ولوج المجمع لم يكن جد عسير .

ويسر المجمع أن يرى شباب هذا الجيل يلجون أبوابه ، ويتحملون تبعاته ، ويعملون مع من تقدمهم من الزملاء في خدمة أغراض المجمع ، مواصلين تشييد صرح الثقافة العربية ، والنهوض بلغتها ، وإحياء تراثها ، وبانين كما بنى علماؤنا الأولون ، وواصلين الماضي بالحاضر ، ومؤلفين بين القديم والحديث .

حل الدكتور الخطيب محل المرحوم الشيخ المغربي عضو المجمع العلمي العربي على ما بين السلف والخلف من تباين في السن وفي نوع الثقافة . شاب في الخامسة والأربعين يخلف شيخاً في التسعين من عمره ، وثقافة مخضرمة شرقية غربية في محل ثقافة اسلامية خالصة . ولكن تجمعهما بالرغم من ذلك خصائص مشتركة ، فكلاهما من بيت علم ودين وتشريع ، نبغ فيه علماء ومؤلفون ،

وكما جمع الفقيد المغربي بين الأدب والعلوم الدينية ، كذلك جمع الدكتور الخطيب بين الأدب والعلوم الحقوقية ، ونشد كلاهما اصلاحاً في نطاق ما اختص به ، وسلكا فيما أقدما عليه سبيل المدرسة الفكرية المحررة ، التي تتجلى معانيها في كتبهما وبحوثهما . فقد جندا قلميهما ومواهبهما لتقويم الانحراف عن محاسن ماضي السلف ، وحثا الكتاب والمؤلفين على الاغتراف من ينابيع تراثنا العربي ، وعلى الوصل بين ثقافتنا العربية القديمة والثقافة الغربية الحديثة .

ولو صرف الأستاذان همهما الى الأدب نثراً وشعراً لكان لهما في هذا المضمار نصيب الأدباء ، لكنهما حولا مواهبهما وسخراها لأغراضهما العلمية ، فنبغا في اختصاصيهما وأديا لأمتهما خدمات جليلة .

وسيبقى هذا المجمع وأشباهه ملتقى جيلين من أعضائه ، فشيوخه اليوم كانوا شباب الأمس ، وسيغدو شباب اليوم شيوخ الغد ، وهذا شأن الخلق فهم دوماً في حل وترحال ، ووداع واستقبال ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وأنت اليوم أيها الزميل الكريم ، أصغرنا سناً ، فالآمال على نشاطك معقودة ، أخذ الله بيدك فيما أنت بسبيله من خدمة لغتنا المقربة وثقافتنا العربية .

وشكراً لمن شرفونا بحضور جلسة استقبالك والسلام عليكم .

جعفر الحسني

كلمة الدكتور عدنان الخطيب (١)

سيدي رئيس المجمع :

سادتي الزملاء :

كلما تأثل المجد واستأصل ، كان أحقّ بأن يعتز به ويفاخر ، فاذا تماجدت دمشق كان هذا المجمع العظيم ، من مفاخرها الخالدة على الدهر ، الباقية بقاء العربية ؛ ودمشق من العربية ، قلبها يخفق حباً ، ودماغها المفكر يشع نوراً ، يهدي العرب سبيل العز والسؤدد ، وينير أمامهم الدرب الهادي الأمين .

إني ما نظرت الى هذا الصرح الشامخ ، من صروح العربية في نهضتها الحديثة ، إلا وحنيت رأسي إجلالاً لعظمته ، وإكباراً لجهود بُناته الأبطال ؛ حتى إذا ما دعوتموني الى هذا اليوم المشهود ، أخذتني الهيبة من الوقوف أمامكم ، وتملكتني رهبةُ الانضمام الى صفوفكم ، رهبةً يشعر بها من يصّعّد في السماء .

* * *

سيدي الرئيس ، الأمير :

يخيل إليّ أن ليس بوسعي أن أوفيكم ، والزملاء المحترمين ، حق الشكر على ما أوليتموني من ثقة وتقدير ، وشرف زمالتكم ، منتهى الشرف لمن يطلبه ، وغاية المجد لمن يطمح اليه ، فلكم الشكر خالصاً ، من قلب مفعم بالتجلة والاحترام .

واسمحوا لي أن أخص بالشكر ، الزميل المحترم ، الذي تفضل واستقبلني ، فأفاض عليّ من أدبه الجم ، وتهذيبه الرفيع ، ثناء يجاوز ما أستحقه ، وثقة أرجو أن أكون أهلاً لها .

(١) الكلمة التي ألقاها الدكتور عدنان الخطيب في جلسة استقباله عضواً عاملاً ، مترجماً فيها سلفه المرحوم الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

ARCHIVE

أما شاعر العربية الكبير محمد البزم ، أول من أثّل في نفوس الجيل الذي أنا منه ، حبّ العربية ، وحبّ من يحبّها ، وأيقظ في أعماقنا إباء العربي وحذرَه ، لمجزء من الدفاع عن قوميته ، فكلمته التي استشهد بها الزميل الكريم ، كلمة أستاذ يقيم الى فضل المعلم الجليل ، فضل المشجع بدفع بتلميذه الى العلاء ، أجزل الله ثوابه ، بقدر ما أحب العربية ، وما بذل من جهد في تعليمها والدفاع عنها .

وما أنس لا أنس فقيد المجمع العظيم ، الأستاذ الرئيس محمداً كرد علي ، رائداً من رواد النهضة العربية المعاصرة ، ومعلماً ، دفعني ذات يوم الى هذا المنبر ، فألقيت محاضرتي الأولى ، وما كنت أدري في تلك اللحظة ، أنها كانت درجة من درجات سلم ، علوته فبلّغني السّماكين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

سادتي :

في الثامن من شهر حزيران سنة تسع عشرة وتسعمئة وألف للميلاد ، أنشئ في دمشق ، عاصمة الدولة العربية في بلاد الشام ، المجمعُ العلمي العربي ، وكان من أعضائه شيخٌ في العقد الخامس من عمره ، يكوّر عمامته تكويراً يميزها من عمائم أهل دمشق .

كان الشيخ ربعة في الرجال ، حسن السمت ، جميل الطلعة ، حلو المحيا ، وجهه كصباح الربيع ، غض رطيب ، أبيض مشرب بحمرة ، تزينه لحية اقتصد في إرسالها ، وخطها الشيب ، فاستكانت الى الشيب خليطاً غير قنيع .

وكان عالي الهمة ، دؤوباً على العمل ، تبدو الحيوية في كل حركة من حركاته كما يبدو النشاط في كل خطوة من خطواته ، يحب المشي رياضة يومية ، يغدو الى عمله ويروح ماشياً ، ويترك البيت كلما ضاق بما في البيت من كتب

مرصوصة ، وأوراق مكدسة ، ليجد السلوى في المشي بين بساتين الصالحية والربوة ، يستمتع بجمال مسالكها ، ودفء الشمس ينسل من أشجارها الظليلة ، يستنشق عبير الآس في جنباتها ، وأرج الريحان في مغانيها ، وحيداً حيناً ، ومع بعض من يصطفيهم من الخلان والأصدقاء حيناً آخر ، وهو دائماً يمشي خطاه الثابتة ، غير متوان ولا متخاذل .

كان الشيخ حاضر البديهة ، بحديث كأنه قطع الروض ، يحمل في طياته النكتة البارعة ، والشاهد البليغ ، كأنما وعى عيون الأخبار وروائع الآثار . يحب معاشرة الناس ، عظيم الوفاء لمن صادق منهم ، كأنما حبه دين . لين العريكة ، لطيف الشمائل مع صبر شديد على تحمل المكاره ، على أنه مع ذلك كان عصبي المزاج ، يسرع الغضب اليه ، فيطير الشرر من عينيه ، وتتواثب الكلمات من شدقيه ، ولكنه يظل خفيف الظل ، مهذب اللفظ ، سهل الاسترضاء .

كانت لغة الشيخ فصيحة في كلماتها ، سهلة في تراكيبها ، واضحة في مقاصدها تعتمد حروفه ، إذا نطق ، على مخارج يبين جرسها عن حقيقته ، فهو ليس من أبناء دمشق ولا فيها ولد ، ولو مرّ في حي من أحيائها القديمة ، وكان هنالك من يتهامس به ، ويقول عنه : « صاحب العمامة هذا ، يسفه آراء الشيوخ ... ويدعو الى السفور » لكانت هذه القالة مثيرة للرعب ، وباعثة على الفزع ، خوفاً على الشيخ من تجمع الناس ، وهم ينكرون ما سمعوا عنه وما قيل فيه ، ولكن الشيخ ما يكاد يلقي على الناس من حوله السلام ، حتى يهدأ الروع ، وتطمئن النفس ، لأن أهل دمشق قد ارتضوا من أخلاق الشيخ البدء بالتحية ، فاذا هم يردون عليه بأحسن منها .

كان الشيخ قد نزل دمشق ، منذ سنوات [نزولاً حسبه لماماً ، فاذا هو قد استثنى شهوراً وأعواماً] ، واذا بفؤاده يخفق بحبها ، فألقى فيها عصا الترحال ،

وسكن ما بين النيربين من مرابعها الخضر ، مسحوراً بجمال أزهارها ، مفتوناً بنسيم ربيعها ، يطرب لخرير الماء يجري في مقمرات صيفها ، ولحفيف أوراق الحور ، ينثرها الخريف ذهباً على أرضها ، يعشق رائحة التراب ، أصابه طلّ يبشر بشتائها ، ويأنس بالديمة السمحة السكوب تسقي رياضها ، وتروّي جناتها .

أحب الشيخ دمشق ، وأخلص في حبه لها ، فأقام فيها عمره ، واستودعها أهله وفلذات كبده ، واختار ترابها لمثواه ، وكأنه من أبنائها كابراً عن كابر .

* * *

سادتي :

هذه نهاية قصة الشيخ ، أما بدأتها ، فقد كانت في الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٢٨٤ للهجرة ، وهي سنة عاصرت سنة ١٨٦٧ للميلاد ، في ذلك اليوم ، وُلدَ في بيت من بيوت اللاذقية طفلٌ ، أبوه موظف في القضاء ، مغربي الأرومة ، كان جده الأعلى هاجر في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة - أي في النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد - من بلاد تونس الخضراء ، في المغرب العربي ، واستوطن مدينة طرابُلس من ساحل بلاد الشام ، وفي هذه المدينة وُلد أبو الطفل ، وفيها تعلم اللغة والفقه والحديث ، وفيها تزوج ، ثم رحل عنها طلباً للرزق والمعاش ، حتى إذا ما عاد اليها بعد سنوات من التنقل بين مختلف البلاد ، كان معه غلام صغير ، ولد له في مدينة اللاذقية .

درج الغلام في بيت أبيه وجده ، وهو بيت علم ودين ، بيت عريق سيف القضاء والفتيا ، فشبّ وهو يملك ذخراً كبيراً من المعارف ، حفظ المتون في الفقه واللغة والأدب ، ثم أخذت مداركه بالاتساع ، وثقافته بالنمو ، لتلقيه العلم عن بعض المفكرين من شيوخ عصره ، كما بدأت آفاق الرأي فيه تتفتح ، عندما اتصل ببعض العلماء المجددين ، والمصلحين الثائرين ، كالسيد جمال الدين

الأفغاني ، والإمام محمد عبده ، فتفاعلت في نفسه الثقافتان الدينية واللغوية ، مع نزعات الإصلاح والتجديد ، والثورة على القديم البالي ، فجعلت منه شيخاً يدعو الى ضرورة التطور واقتباس كل مفيد ، ونبذ كل فاسد من الأعراف والتقاليد ، وكان له من ذخره الكبير في العربية والأدب والتاريخ ، السند القوي في امتلاك ناصية البيان ، والأخذ من الدعوة بالزمام ، فأخذ يكتب وينتقد ، ويغمز ويلمز من سوء الإدارة وفساد المجتمع ، فضاقت بالشيخ بلد شيوخها له كارهون ، وحكامها لا يرتضون النقد من أي وعاء خرج ، فترك الشيخ بلدة يئن من صولة الحاكم المستبد ، ويرزح تحت سلطان الجمود الموروث ، ويرين عليه الجهل والفساد .

وهبط الشيخ مصر سنة ١٩٠٥ للميلاد ، ينشد عن متنفس لضيق صدره ، وميدان يغلي فيه آراءه وما يجول في نفسه ، فاذا بالصحافة تفتح له صدرها ، وتدعوه الى ميدانها ، للمشاركة فيه ، فكتب المقالات المدوّية ، ودبّج الفصول الممتعة ، وكون لنفسه من وراء ذلك هالة ، جعلت منه بعد زمن قصير ، كاتباً اجتماعياً معروفاً ، ينادي بالإصلاح الديني والسياسي ، وكاتباً لغوياً متمكناً ، ينادي بالحفاظ على العربية ، لغة حية يتسع أفقها لتلقين جميع العلوم والفنون ، في [شروط وقيود تصون سلامة اللغة من الضياع ، وقواعدها من الانهيار ، وأساليبها الفصحى من الانحطاط] .

فلما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ للميلاد ، ونعمت البلاد بشيء من الحرية ، عاد الشيخ الى بلده كاتباً مرموقاً ، يحرر وينتقد ، ويدعو الى نهضة اجتماعية شاملة ، على صفحات الجرائد ، وفي مختلف المجلات ، حتى اذا ما اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ للميلاد ، طلبت اليه الدولة أن يشترك في تأسيس بعض المعاهد العلمية ، ثم لم تلبث أن عهدت اليه بتحرير جريدة عزمت على إصدارها في دمشق .

وهكذا عرفت دمشق ، الشيخ عبد القادر المغربي سنة ست عشرة وتسعمئة وألف للميلاد ، محرراً في «جريدة الشرق» يتولى الشؤون الاجتماعية فيها ، ويدعو الناس الى النهوض ونبذ الأباطيل ، ثم عرفته سنة ١٩١٩ للميلاد ، عضواً من أعضاء المجمع العلمي العربي البارزين .

* * *

سادتي :

إذا كان الأصمعي مات وفي قلبه حسرة من «حتى» فان الشيخ طاهراً الجزائري ، أحد مؤسسي هذا المجمع ، مات وفي قلبه حسرة من «جمرايا» كما زعم الشيخ عبد القادر المغربي ، في إحدى المحاضرات التي ألقاها في ردهة المجمع هذه ، و «جمرايا» قرية من قرى دمشق ، سكنها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، شاعر يسمى «أبا القاسم الحسين بن واسانة» نعته الثعالبي ، صاحب يتيمة الدهر ، بقوله : «هو أعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصره وباقعته ، وهو أحد الفضلاء المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه كابن الرومي في أوانه» وفي أحد أيام الربيع استقبل الواساني في بيته بجمرايا ، ضيوفاً من دمشق وكانت وليمة خلّد ذكرها في التاريخ ، إذ وصفها صاحبها بقصيدة دوّنها الثعالبي في يتيمته ، وياقوت في معجمه ، وشرح ألفاظها وعلّق عليها الشيخ المغربي في محاضراته .

لقد كان لجمرايا ، يوم أقيمت فيها وليمة ابن واسانة ، شأن عظيم ، ثم عدت عليها صروف الزمن ، فضاع اسمها ، وصحف في بعض كتب اللغة والأدب ، وكان أدباء دمشق ، يقرؤون وصف الوليمة في كتاب اليتيمة ، وهم لا يعرفون «جمرايا» ولا موقعها ، فتأخذهم الحيرة في ما كان من أمرها ومصيرها ، وظلّ الأدباء في حيرتهم هذه ، حتى ألقى الشيخ عبد القادر المغربي ،

في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٢٨ للميلاد ، محاضرته عن ولية ابن واسانة ، وقال : [لما طالعت - اليتيمة في شهر مايس (أيار) سنة ١٩٢٦ للميلاد ، وقرأت وصف الولية الواسانية شاركت الإخوان في حيرتهم ، وأخذت أتساءل عن قرية « جرايا » وأراجع عنها سيف المظان ، وكنت كلما أوغلت في المراجعة ، ارتطمت في الشُبَه والشكوك .

ثم اتفق في أثناء الحرب العامة ، أن الأستاذ الشيخ عبد القادر الخطيب خطيب الجامع الأموي ، ملك قطعة أرض في مزرعة ... فعلم من أكاريها أن اسم مزرعتهم « جرايا » ... وقد بنى الأستاذ ثمة داراً حسنة ، وجعل يحدث إخوانه عن « جرايا » وجمال موقعها ، وطيب هوائها ، ويدعوهم إلى زيارته ، وبهذه الصورة ، نشرت قرية « جرايا » من مطمورة العدم ، وعادت فوُلدت من جديد باسمها الحقيقي ، وظهر أن محلها وادي بردى ، على قيد غلوة من قرية الهامة متنزه أهل دمشق المشهور] حتى قال : [... ثم درى الأستاذ الخطيب ، أني أهيئ محاضرة في هذا الموضوع ، أريد إلقاءها في ردهة المجمع ، فقال لي :

أما وقد عزمتَ على إحياء ذكر « جرايا » فإني ، أنا أيضاً أريد أن أحيي ذكر ولية ابن واسانة] .

* * *

سادقي :

في يوم من أيام الخريف ، كان فتى لم يجاوز الرابعة عشرة من عمره ، يقف الى جانب أبيه ، في شرفة بيت ريفي جميل ، أقيم على أشفا واد من أودية تنتهي الى نهر بردى ، فتؤلف مع مجراه ، الوادي الأخضر الكبير ، يجري فيه الماء الى دمشق فيحمل اليها الحياة ، ويكسبها الفتنة والجمال .

كانت السماء يومئذ صافية ، ترصعها خطوط متقطعة من الغيوم ، تناثرت هنا وهناك ، وكأنها طلائع الشتاء المبشرة بالخير العميم ، كانت الجبال تحف بالبيت من كل جانب ، كأنها الأطواد ، شامخة بصخورها الجرداء ، زاهية بلون أديمها الضارب الى حمرة ، وعشبها قد آذن وصوّح ، وإذا كان نحرها عريانَ ، فساقها كاسية حالية بوشاح من أشجار الزيتون ، زاد اخضرارها دكنة ، ما علق بها من ثمار نضجت وحان قطافها ، أما هذا الوشاح الحلو ، فتشده الى قمم الجبال أخاديد خضراء ، تزيده روعة وجمالاً ، وكانت أشجار المشمش توشّي أطراف الوشاح ، بأوراق الخريف الذهبية ، وأشجار الحور ، تقف في مستقر الوادي ، مستعلية برشاقتها ، وكأنها عرائس تختال على ما حولها من دلب ودردار ، وبردى يتلوى بين أقدامها تلوي الثعبان ، يظهر في مكان ويختفي في مكان .

كان الفتى وأبوه في انتظار ضيوف كرام ، والأب يحدث ابنه عن من لا يعرفه منهم ، فيهيج عنده الرغبة في لقائهم والترحيب بهم ، والفتى دائم الحركة لا يستقر في مكان ، وكأنه عين لا تغمض ، تراقب طريق دمشق يخترق ملتوى الجبل من بعيد ، هابطاً نحو النهر كالظمئ ، ليندفع من الجهة الأخرى من النهر صُعداً اذا ما ارتوى ، فلما لاحت للفتى مقدمة سيارة ، تهلّل وجهه طرباً ، ولم تمض دقائق معدودات ، حتى كان الفتى من وراء أبيه يستقبل الضيوف ، يتقدمهم رئيس المجمع العلمي العربي ، والى جانبه الشيخ الذي الذى كان الأب يحدّث فتاه عنه ُويقصّ عليه شيئاً من القصص ، يحبب الاجتماع به ، والاستماع اليه .

تحلق الضيوف حول بركة ماء ، يزينها ما يتصعد منه نحو السماء ، فاذا ارتد دونها ، انتثر كاللؤلؤ على سطح البركة ، وهو على سيرته ، دائم الصعود والارتداد ، ما آنس القوم بمنظره وخريره .

وأخذ القوم يتحدثون عن جمال الطبيعة في « جرايا » وعن [موقع دار الخطيب ، وما تشرف عليه من مشهد عجيب] .

وكان الشيخ عبد القادر المغربي ، واسطة عقد القوم ، لا يلقي النكتة يتيمة ، ولا ينهي حديثاً إلا ليبدأ قصة ، ولا يروي بيتاً من الشعر ، إلا ليعلق عليه حتى إذا بلغ سؤله ، رغب في زيارة القرية ، لمعرفة معالمها القائمة ، وما بقي من آثار مجدها الغابر وماضيها المجهول ، فأسرع الفتى إلى رفقته ، دليلاً يحسن الحديث عن ما يعرفه من آثار شارك في اكتشاف بعضها ، ويحسن الاستماع للشيخ يتم حديثه عن ابن وامانة ، شاعر « جرايا » الذي لم تبق الأيام من ذكر له فيها ، سوى عين ماء تعرف بـ « عين الشاعر » .

طالت جولة الشيخ والفتى بضع ساعات ، كانا يصعدان جبلاً ، ويهبطان وادياً ، يجتازان شعاباً ويطلعان ثنايا ، يتحاشيان ما استطاعا الوعر والأشواك ، ويقفزان اذا ما اعترضتهما عيون جارية ، وكان الفتى قد ألف اجتياز العقبات ، وتمرس بعراقيب الجبال ، فأخذ بين الفينة والفينة ، يستحث الشيخ على التقدم والإسراع ، والشيخ يتمهل والابتسامة تعلو ثغره ، حتى بلغت الجولة منتهاها ، وإذا بالفتى يشعر بالتعب يدب في أطرافه ، والنصب يستنفدُ ما عنده من نشاط ؛ ولكنه استحيا من الشيخ فتجلد ، وأخذ في الإياب يغذّ السير للحاق به ، والبقاء الى جانبه ، فلما وصلا البيت ، وخاف الرفقة أن يكون الفتى الدليل ، قد أتعب الشيخ في تجواله ، صاح هذا الفتى : والله ان الشيخ هو الذي أتعبني .

سادتي :

هذا أول لقاء أتيح لي بالشيخ ، ولم أكن أدري أن الأيام تدور وتدور ، لأقف في يوم ، أتحدث عن هذا اللقاء الحبيب .

* * *

سادتي :

حدثتكم كيف هبط الشيخ مصر سنة ١٩٠٥ للميلاد، وجدير بي أن أقف قليلاً، لأحدثكم عن ثمرة طيبة من ثمرات هذه الفترة من حياته ، فقد نزل الى ميدان الصحافة ، وكانت جريدة «المؤيد» في طليعة الجرائد التي خاض معاركه الاصلاحية فيها ، وقد اضطر وهو يكتب للعامة من الناس، الى استعمال كلمات كثيرة ، من المعرّب والدخيل ، فعتب عليه كثيرون من محبي العربية ، الراغبين في الحفاظ على سلامتها ، ونقده آخرون ، فاذا بالجدل ينشط بينه وبينهم [حتى تخطى الجدل القول الى الكتابة في الصحف ، وكان يكتب في المؤيد ، ردوداً يحتج بها لنفسه] وكان لا يرى - على حدّ تعبيره - رأي الناقدين له [في أن القليل من كلمات المعرّب والدخيل ، يفسد المقال الطويل ، بعد أن تتوفر فيه سائر صفات الحسن] .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وطال الجدل ، وكثر ما كتبه الشيخ دفاعاً عن نفسه ، فاذا بصاحب المؤيد ، يشير عليه ، أن يجمع ما كتبه في هذا الشأن في كتاب مستقل ، فطلع الشيخ على الناس ، سنة ١٩٠٨ للميلاد ، بكتاب «الاشتقاق والتعريب» ردّ فيه على [الأغراب عن العربية ، البعيدين عن معرفة أسرارها ، والذين يرمونها بضيق العطن] وعلى العاتبين من أنصار العربية [الذي يرفعون أصواتهم بالانتصار للغة ، والإعجاب بخصائصها ومزاياها] ثم لا يعملون على إحيائها ، بالإفادة من [قوتي الاشتقاق والتعريب ، وتمهيد السبل للانتفاع بها] كل ذلك كي يتم [امداد اللغة بالحياة الدائمة والنمو المتواصل] فتصبح لغة حية تصلح لتلقين العلوم والفنون على اختلاف أنواعها .

وكان جلّ هم الشيخ في كتابه ، أن يثبت [أن المعرب عربي فاستعماله في

الكلام الفصيح ، لا يحط من قدر فصاحته ، ولا يخرج البليغ عن بلاغته] على أن الشيخ ، وهو في حومة الجدل ، كان يندفع أحياناً ، في تأييد ما يدعو اليه ، اندفاعاً فيه شيء من التنكر لأصل بعض الكلمات العربية ، أو فيه التساهل بتعريب الكلمات الأجنبية ، فهو إذ يقول : [والتعريب تحويل طبيعي ، أو تغيير تدريجي ، يطرأ على اللغة ، ويجري بها في ناموس مطرد ، وقد خضعت له اللغة العربية بمجموعها ، ومن أول نشأتها ، كما تخضع له الآن وبعد الآن ، [وأعني بذلك أن اللغة بمجموعها معربة ومحولة عن لغة أعجمية] لا يرى عيباً في استعمال كلمات [قوميسيونجية] بدلاً من « وسطاء » و [بالون] بدلاً من « منطاد » و [بوسطة] بدلاً من « بريد » . لا بل انه دعا ، في الفترة الأولى من دفاعه عن الاشتقاق والتعريب ، الى أخذ لفظة [اتومبيل] كما أخذ أسلافنا لفظة « منجنيق » والى اشتقاق اسم من لفظه لمن يسوقه ، فنقول له : [آتم] أو [تامل] كما سمى العرب صاحب المنجنيق « ناجق » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما كان الشيخ ، في الفترة المذكورة ، لا يبدي أي اعتراض على استعمال كثير من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس ، مثل : [تلغراف] و [تلفون] و [فونوغراف] و [ملاريا] و [ميكروب] ونحوها مما جاء به نقلة العلوم العصرية ومترجموها ، ولم يروا مندوحة من تعريبه .

وأصبح الشيخ رحمه الله فيما بعد ، من أركان المجامع اللغوية في البلاد العربية ، فشارك بنصيب وافر ، في ترجمة المصطلحات أو وضعها أو إقرارها ، مصطلحات لكثير من الكلمات الأعجمية ، التي كان لا يعترض على استعمالها لشيوعها على ألسنة الناس ، كما في كلمات : « برقية » و « هاتف » و « حاكي » و « بُرداء » و « جرثومة » . وكما هو الحال في الرتب العسكرية ، التي كان أكثر الجيوش العربية تستخدم ألفاظاً أعجمية للدلالة عليها .

ثم كان هذا الوعي اللغوي في الأمة العربيـة ، الوعي الذي جاوز آراء الشيخ ، وغلب الناس معه استعمال « السيارة » و « المنطاد » و « البريد » على [اتوميبل] و [بالون] و [بوسطة] فارتاح الشيخ بادئ ذي بدء ، الى ما رأى وما سمع ، ثم أصبح لا يرضى عن التعريب ، إلا بالشرائط التي تحفظ للغة سلامتها ورونقها ، ولم يعد يكتفي بإطلاق لفظة « سيارة » على المركبة التي تندفع بقوتها الآلية ، بل طمع في أن يعرف الناس من السيارة ، شكلها « قاطرة » كانت أو « مقطورة » أو « صهريجا » . كما طمع في أن يعرفوا « طرازها » وقوة « محركها » وعدد « اسطواناتها » ومقياس « اطار عجلاتها » ومدى « صوت منبهها » ونوع « مكابحها » وموقع « العادم » فيها ينفث فضلات ما تحرقه من وقود . لا بل طمع في رؤية سائق أي سيارة ، يستعمل « المشيرة » كلما رغب في تبديل وجهة سيره ، وبغيته الى كل « شاخصة » ، نصبت في الطريق ، للتقيد بما تحمله من تعليمات « شرطة السير » ، كما طمع أن لا تترك السيارة إلا في « المَرأب » ، ليرأب صاحبه ما فيها من خلل .

وحار الشيخ في أمر « الباص » فلم يدر ما يستبدل به ، فارتضاه بهذه الصيغة الأعجمية ، وتركه يَرِد كذلك في نص القانون الذي شارك في صياغتـه ، على حين نثرت في مواده كل الكلمات السابقة ، في يسر وسهولة .

وإني لأذكر غيرة الشيخ وجرأته في الدفاع عن العربية ، يوم أراد صاحب سلطان عارض ، تسانده صحافة قوية وكتاب كثيرون ، الاعتداء على « تاء » سورية ، فصاح الشيخ بملء فيه : إن العرب أعطوا « سورية » حقاً في تاء تلحق بها ، فلا يعتدين أحدٌ عليها .

لقد مات الشيخ رحمه الله ، ولو مد الله في أجله فرأى علم الوحدة المباركة ، يخفق في سماء مصر والشام ، نواة للوحدة الكبرى أحلى أمانيه ، لطار فرحاً ،

وليلغ به هذا الفرح مبلغه حين يرى «الشرطة» تفوز على [البوليس] في المباراة، ويرى «الأمناء العامين» يأتمرون بكل [سكرتير عام] أو يرى «المقدم والرائد» يحلان محل [البكباشي والصاغ] و «اللجان الطبية» تستبدل بـ [القومسيونات].

* * *

سادتي :

عندما يذكر أي مجمع من المجامع العربية، يذكر معه الفقيد الشيخ عبد القادر المغربي، لا لأنه كان من أعضائه المؤسسين فحسب، بل لأن للشيخ فضل السبق في الدعوة إلى إنشاء المجامع اللغوية، قبل نيف وعشر سنوات، من إنشاء أول مجمع لغوي، مجمع دمشق العلمي، فقد كان يبدي التلهف في كثير مما كتبه قبل سنة ١٩٠٨ للميلاد، لرؤية مجمع لغوي ينظر في الكلمات الدخيلة والأعجمية ويدونها، مشيداً بـ [النهضة العربية العباسية، وخاصة المأمونية، حينما عقدت المجامع وأنشئت دور الحكمة، فصار يؤمها كبار العلماء، لأجل النظر في ما ينقله المترجمون، من الكلمات الأعجمية ونقدها وتدوينها] قائلاً: [وهذا ما نصبو اليه، في هذه الأيام، ونحسبه من أكبر دواعي تقدمنا، واتساع نطاق لغتنا، وانتشار العلوم على أنواعها فيما بيننا].

وكان الشيخ رحمه الله تارة يذكر، والألم يحز في نفسه، الزمن الذي كان يعيش فيه يوم [انتشرت اللغات الأعجمية، ومرنت على النطق بكلماتها الألسنة، ولا مجامع لغوية تعني بنقد تلك الكلمات، وردها الى أبنية عربية] وتارة كان يضيق ذرعاً بـ [الكلمات الأعجمية الكثيرة، التي تنهال على لغتنا أيما انهيال، وليس لنا من العناية وإنشاء المجامع، ما يقوم بشرط تعريبها، أو إلحاقها بالأوزان العربية].

وعلى الرغم ، من طول باع الشيخ في علوم اللغة ، وجلده على البحث والدرس ، كان يستصعب التمييز بين المولد والعامي ، لأن هذه المهمة ، على حد تعبيره : [تحتاج الى بحث وتنقيب ، وقلما يمكن للفرد أن يستقل بهذا العمل ، وتيسر له الإحاطة به ، وإنما يتيسر للمجامع العلمية واللغوية ، التي تخدم اللغة وآدابها ، وتبحث في موادها وجميع مفرداتها ، أصيلة أو دخيلة] . وكثيراً ما كان الشيخ يقول ، وفي كلامه ابتهال ورجاء : [كم نحن إذن في حاجة الى مجمع لغوي ، يصون لغتنا المحبوبة عن هذا الخطر الذي يتهددها ، وينتشلها من هذه الهوة التي نخشى أن تواقعها] أو كان يعتذر عن البتّ في رأي جريء ، يعرض له ، فيقول : [ليس لمثلي ، أن يبت بالرأي فيه ، لا سيما وهو مما يتعلق بحياة اللغة وبقائها ، في هذا الموقف الهائل ، الذي تزدحم فيه اللغات الحية ، وإنما أَكِلُ الحكم فيه الى المجامع اللغوية ، التي تتمخض عنها البلاد ، وبتحفز الى إنشائها ، من فضلائنا أفراد] .

كان الشيخ رحمه الله يقول مثل هذه الأقوال ، يوم لم تكن للعربية دولة ، ويوم كان الحديث عن دولة للعربية ، تقصر عنه الأحلام ، وتجبن أن تخوض فيه الأقلام ، فلما رأى الشيخ المجمع العلمي العربي ، ينشأ في دمشق سنة ١٩١٩ للميلاد ، ثم رأى مجمع اللغة العربية ، ينشأ في القاهرة سنة ١٩٣٤ ، صاح بملء فيه ، والرضا يملأ جوانحه ، والإيمان يغمر قلبه : [أن الحمد لله ، لقد تحققت أمنيتي] .

ومما يذكر للشيخ تغمده الله برحمته ، أنه عندما كان مندفعاً في الدعوة الى الإفادة مما كان يسميه [قوتي الاشتقاق والتعريب] احتاط مرة في اندفاعه ، وقال : [قد ظهر لك مما تقدم ، أن الاشتقاق قوة لنمو اللغة ، وتكاثر كلمها ، وتشعب صيغها ، لكنه سماعي مقيد بأزمان خاصة ، وأشخاص معينين ، وليس من

مقدورنا نحن ، ان نعمل تلك القوة الآن في اللغة فنشتق من مصادرها ، ونحول موادها اشتقاقاً وتحويلاً ، لم يعرفها أهل اللغة أنفسهم ، اللهم إلا إذا طرأ على عمراننا وعقولنا وعلومنا ، التي نسميها نقلية ، ما يفكها من قيودها القديمة ، ويجاوز بها سننها المتبعة ، وليس هذا الدور البعيد ، مما يحسن أن نتكلم عنه الآن] .

فلما أجاز مجمع اللغة العربية في مصر ، سنة ١٩٣٤ للميلاد ، الاشتقاق من أسماء الأعيان ، أي من الاسم الجامد ، لتقول : مُنحَس من النُحاس ، ومُبلّر من البِلّور ، ومكهرب من الكهرباء ، واستماء البخار أي استحال الى ماء ، واستبقر الجاسوس أي عمِل عمَل البقر ، كما قال العرب في القديم : مذهّب اشتقاقاً من الذهب ، واستحجر الطين اشتقاقاً من الحجر ، واستنوق الجمل واستنسر البغاث اشتقاقاً من الناقة والنَسر ، صاح الشيخ فرحاً مسروراً : [لقد صدق حدْسي ، وتحقق ما توقعته ، بعد ست وعشرين سنة] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

صادقي :

من الآثار الخالدة ، التي صنعها الشيخ الفقيد بعد نزوله دمشق ، تفسيره «جزء تبارك» من القرآن الكريم ، توخى فيه طريقة أستاذه الإمام محمد عبده ، في تفسيره «جزء عم» من حيث [الصحة في التعبير ، والاقتصار على المفيد من القول .... والشرح مجرداً عن التنطع بالمشاغبات ، وإيراد الخلافات والخرافات] إلا أنه ، رغم حبه لأستاذه الإمام ، وعظيم وفائه لذكراه ، لم يستطع متابعته في أسلوبه ، أو التقيد بمنهجه ، فترك لنفسه هواها ، في حب العربية وعلومها ، فاذا به [يتوسع في التعليق والتفسير ، والاستشهاد والتنظير ـ ولا سيما في المباحث اللغوية ـ بأكثر مما فعله الأستاذ الإمام رحمه الله] .

لنستمع الى الشيخ - رحمه الله - يفسر قول الله عز وجل : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ » ، يقول الفقيد : [غوراً ، مصدر غار الماء نَضَب وذهب في الأرض ، وكان الظاهر أن يقول : إن أصبح ماؤكم غائراً لكنه وصف بالمصدر للمبالغة . . . و « ماء معين » أي جارٍ على وجه الأرض ، منظور بالعين ، ووزنه « مفعول » من عانه ، إذا نظره بعينه ، أو « فعيل » من مَعَن الماء في جريه ، إذا اطرد وتسلسل ، فكان أعون على نقائه وطهارته ، وتخليصه من الشوائب] .

بل لنستمع اليه كيف ينسج من خيوط اللغة والعلم والأدب ، تفسير قول المبدع الكريم : « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً » قال : [كِفاتاً ، مصدر كَفَت الشيء الى نفسه ضمه ، وهو الذي نصب « أحياء وأمواتاً » على المفعولية ، أما من جعل « كِفاتاً » اسماً بمعنى الموضع الذي يُكفت فيه الشيء ، ويُضم كالوعاء والصِوان ، فإن « كِفاتاً » حينئذ لا تنصب « أحياء وأمواتاً » بل ناصبها فعلٌ محذوف دل عليه « كِفاتاً » كأنه قال : تكفِت أحياء وأمواتاً . . .]

[ويصح أن تكون « أحياء وأمواتاً » منصوبةً على الحال ، فإنه قال : تكفتكم حالة كونكم أحياء وأمواتاً ، أما كون الأرض تضم الأموات الى صدرها ، وتكون كِفاتاً لهم ، فأمره ظاهر ، ولكن ما معنى أنها تضم الأحياء اليها ؟ وكيف تكون كفاتاً لهم ، وهم منتشرون فوق ظهرها متنقلون الى كل جانب من جوانبها ، ولا حواجز تصدهم ، ولا سدود تقوم في وجوهم ؟ قيل في الجواب : إن المراد بكون الأرض كِفاتاً للأحياء ، أن منازلها ومساكنها كِفاتٌ لهم ، تضمهم بين جدرانها للبيتوتة والراحة والسكنى ، كما أن المقابر كِفاتٌ للأموات تضمهم بين جوانبها] .

وهنا يتابع ، فقيدنا العظيم ، تفسيره برأي أصيل يدل على ثقافة عامة ، وتفهم للعلوم العصرية ، فيقول : [وأرى أن اكتشاف ناموس الجاذبية العام ، الذي بموجبه تجذب الأرض اليها ما على ظهرها من البشر والدواب وسائر الأشياء ، والذي لولاه لطاروا وتبددوا شَذَرَ مَذَرَ في الفضاء ، بسبب حركة الأرض اليومية على نفسها ، وحركتها السنوية حول الشمس ، بسرعة فائقة الحد ـ هذا الاكتشاف يفسر لنا معنى ما قرره الكتاب الإلهي من أن الأرض كفات للأحياء مذ يكونون على ظهرها ، فانها تجذبهم اليها ، وتضمهم الى صدرها ، كما تفعل الأمُّ الحنون ، فلا تدعهم يتفلتون ، وهم بذلك لا يشعرون] .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سادتي :

سبق أن عرفنا ، كيف لجأ الشيخ المغربي الى مصر ، وكيف عاد الى بلده ، بعد الانقلاب العثماني ، واعلان دستور يكفل للمواطنين الحقوق والحرمات الأساسية ، وجميل بنا ، أن نطلع على عدد من جريدة « المؤيد » القاهرية ، صدر يوم العاشر من شباط سنة ١٩٠٨ للميلاد ، لأنه كان يحمل مقالاً عنوانه : « الإصلاح العملي : ذهب دور القول وجاء دور العمل » كتبه الشيخ عبد القادر المغربي .

كان الشيخ في مقاله « ثائراً » يدعو إلى الإصلاح ، ومصلحاً يدعو الى إقامة مجتمع جديد ، وكأنه باصطلاح العصر الذي نعيش فيه « رجل تخطيط » يضع الخطوط الكبرى ، ويرسم السبل التي يجب سلوكها ، للوصول الى الهدف المنشود ؛ لقد كانت أهم الأسس الإصلاحية التي خططها ، هي :

أ — إصلاح اجتماعي ، يشمل الحكومة ، بمرافقها العامة وإداراتها وأنظمتها ، كما يشمل الأسرة ، وخص الشيخ « المرأة » بنصيب كبير من الدعوة الى تعليمها ورفع الحجر الاجتماعي عنها .

ب — إصلاح ديني ، يشمل معاهد العلم ، وأساليب التعليم ، يعود الدين معه الى بساطته وصفائه .

ج — إصلاح لغوي يتلاءم مع مقتضيات الزمن ، ويجعل من اللغة العربية لغة سياسة وعلم وفن .

وظل الشيخ رضوان الله عليه ، بعد وضعه هذا المخطط ، وفياً له ، يدعو الى العمل به بقلمه ولسانه ، ويجاهد ما استطاع ، لتحقيقه وتنفيذه ، متفرغاً في أخريات حياته الى الإصلاح اللغوي وخدمة العربية ، حتى انتقل الى الرفيق الأعلى ، صباح يوم السابع والعشرين من شوال سنة ١٣٧٥ للهجرة ، وفق السابع من حزيران سنة ١٩٥٦ للميلاد ، ففقدت العربية بموته ، ركناً من أركان الدفاع عن سلامتها لغة دين وأدب ، ورائداً من رواد الدعوة إلى إحيائها لغة تساير نهضة العلوم والفنون الحديثة ؛ وخسر المجتمع بموته مصلحاً يدعو إلى إقامة مجتمع تسوده الأخلاق الفاضلة ، ويعرف كل فرد فيه واجباته وحقوقه ؛ وودعت الصحافة فيه ، علماً من أعلامها الأول ، جاهد على صفحاتها بقلمه وفكره ، يدعو الناس بقوة وإيمان الى الخروج من ظلمات الجهل والأعراف البالية ، إلى نور المعرفة والارتقاء .

لقد مات المغربي ، وترك ثروة خالدة ، من الأفكار التي دونها ، والآراء التي اعتنقها ، عرف الناس الكثير منها ، قراءة في صحيفة أو مجلة أو كتاب ، أو سماعاً في درس أو محاضرة أو حديث ، وبعضها ما زال مخطوطاً ، ينتظر من ينشره على الناس .

* * *

سيدي رئيس المجمع :

سادتي الأجلاء :

لقد أتعبني الشيخ عبد القادر المغربي ، أول يوم عرفته ، يوم وليلة جرابا ، حين كنت أجهد لألحق به ، أما اليوم ، وقد شئتم أن أتبوأ مقعده في صفوفكم ، فقد كلفت أمراً إدّا ، لأن مكان الشيخ بيننا سيظل شاغراً ، ولن يسد مسده أحد ، فقد جاد الدهر به يوم ولد ، والدهر كأم الصقر مقلات نزور .

لقد جاد الدهر بالشيخ عبد القادر المغربي ، فكان ملء السمع ، ملء البصر ؛ فسلام عليه يوم ولد ، وسلام عليه يوم نزل دمشق فأحبها وأحبته ، وسلام عليه يوم حنت دمشق على رفاته مخلدة ذكره ومآثره .

الدكتور عدنان الخطيب

★★★

مؤلفات الشيخ عبد القادر المغربي

أ ـ المؤلفات المطبوعة

١ ـ كتاب « الاشتقاق والتعريب » طبع في القاهرة سنة ١٩٠٨ م ، وأعيد طبعه فيها سنة ١٩٤٧ م (١٣٦٦ هـ) .

٢ ـ « السفور والحجاب » آراء نشرت سنة ١٩١٠ و ١٩١١ م وطبعت مجموعة بدمشق سنة ١٩٥٥ م (١٣٧٤ هـ) .

٣ ـ كتاب « البينات » في جزأين طبع في القاهرة سنة ١٩٢٥ م (١٣٤٣هـ) .

٤ ـ كتاب « الأخلاق والواجبات » طبع في القاهرة سنة ١٩٢٦م (١٣٤٤هـ) .

٥ ـ محاضرات عن « محمد ﷺ والمرأة » مع محاضرات في موضوعات اخرى » طبعت سنة ١٩٢٩ م (١٣٤٧ هـ) .

٦ ـ كتاب « جمال الدين الأفغاني ـ ذكريات وأحاديث » طبع في القاهرة في سلسلة اقرأ سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧ هـ) .

٧ ـ « مناظرة أدبية لغوية بين المغربي والبستاني والكرملي » طبعت في القاهرة سنة ١٩٣٥م (١٣٥٥ هـ) .

٨ ـ شرح وتحقيق « تائية عامر بن عامر البصري » طبع في بيروت سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧ هـ) .

٩ ـ تفسير « جزء تبارك » طبع للمرة الأولى في القاهرة سنة ١٩٤٩م (١٣٦٨هـ) .

١٠ ـ « على هامش التفسير » طبع في القاهرة سنة ١٩٤٩ م (١٣٦٨ هـ) .

١١ ـ « عثرات اللسان » من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٩م (١٣٦٩ هـ) .

١٢ ـ تحقيق رسالة « التنبيه على غلط الجاهل والنبيه » لابن كمال باشا نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٦ م (١٣٤٤هـ) بمجلد ٦ ج١ وما بعده .

ب ـ أهم الآثار المخطوطة

١ ـ « المعجم اللغوي للألفاظ العصرية » وقد وصل المؤلف فيه حتى حرف الذال.
٢ ـ مجموعة مقالات وأبحاث منشورة في الصحف والمجلات، وهي في عدة أجزاء.
٣ ـ مجموعة محاضرات لم تنشر، وهي في مجلد كبير.
٤ ـ كتاب « أحسن القصص في التاريخ النبوي المقدس ».
٥ ـ كتاب « العقائد الإسلامية ».
٦ ـ كتاب « أقرب الطرائق الى كنز الدقائق » في الفقه الحنفي.
٧ ـ كتاب « فنون البلاغة ».
٨ ـ كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية ».
٩ ـ شرح « مقصورة ابن دريد ».
١٠ ـ كتاب « طائفة من الأشعار في وصف الصحاري والقفار ».
١١ ـ كتاب « النشغب او نوادر العلوم وفرائد الأدب ».

ع. خ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com